أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٧١٩) المحرم ١٤٤٧هـ - يوليو ٢٠٢٥م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الحَلَقاتُ القُرآنيّةُ .. حِفظٌ للقُرآنِ وأمنٌ للأوطانِ

الهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ حَدَثٌ خالدٌ في تاريخِنا

الشَّمائلُ النَّبَوِيَّةُ وبِناءُ الشَّخصِيَّة

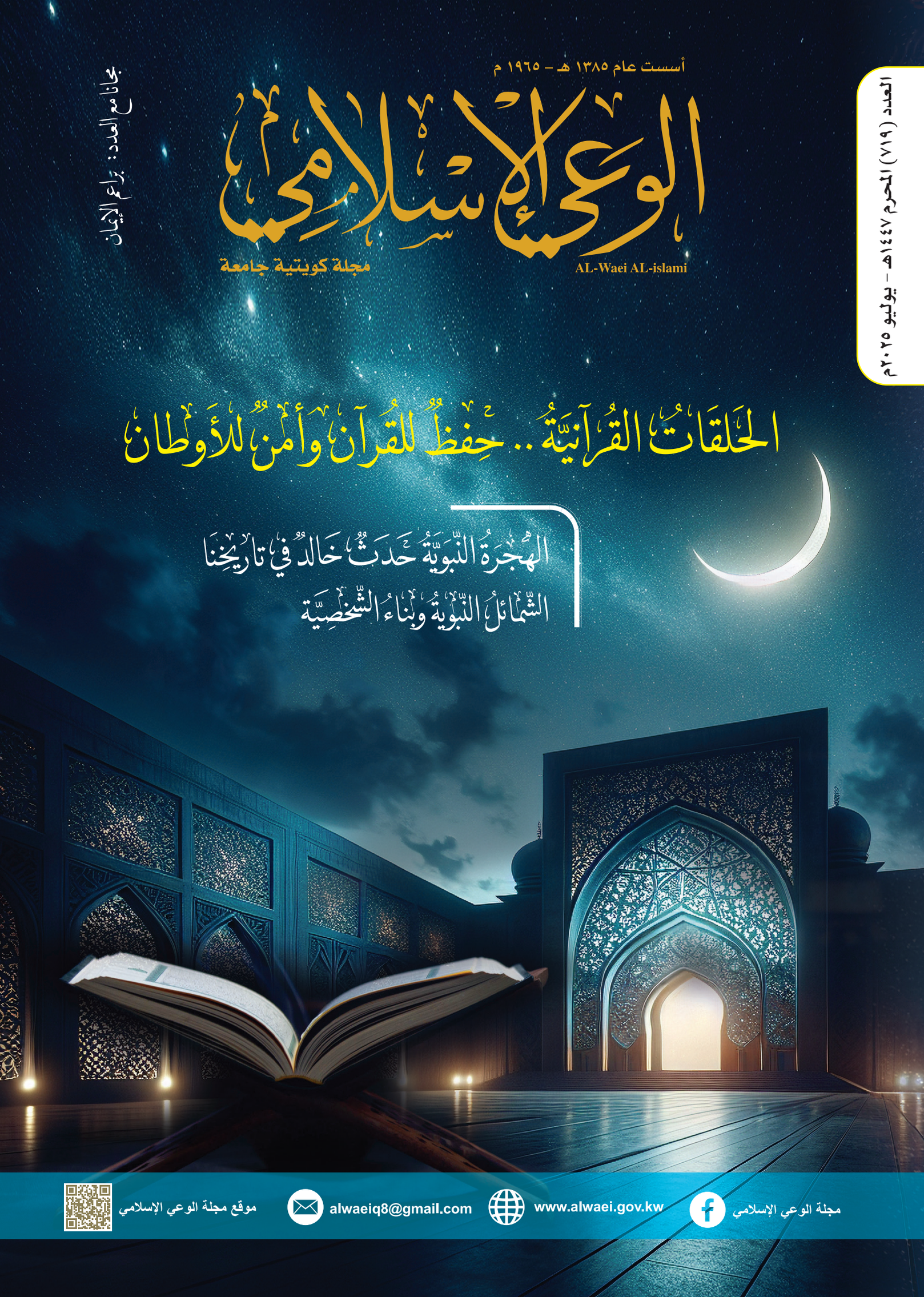

مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا

موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الشئون الإسلامية في الكويت للأستاذ الدكتور عبدالعزيز العمري أستاذ السيرة النبوية وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدُل على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته وتقع الموسعة في سبعة أجزاء

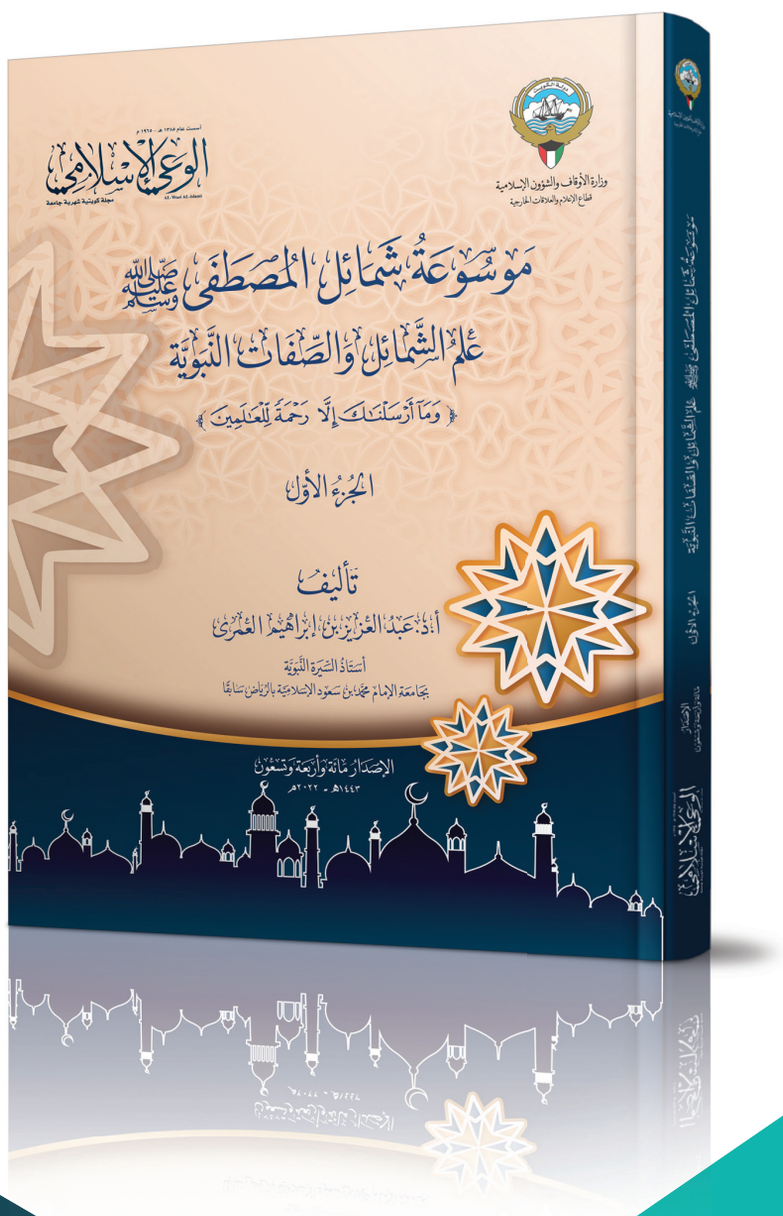

الافتتاحية

أمان مصطفى أمان
رئيس التحرير

الحلقات القرآنية..
حفظ للقرآن، وأمن للأوطان

لا شك أن الحلقات القرآنية من أهم المهمات في حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه بما يعود بالنفع على أبنائنا ومجتمعنا بالأمن والاستقرار، فهذه الحلقات المباركة تنشئ جيلا يحمل راية الإسلام، متحليا بأخلاقه ومتفهما لأحكامه، محافظا على أمن وطنه ومجتمعه، وهذا ما رأيناه واقعا ملموسا في دولة الكويت حرسها الله، فهي كانت وما زالت بفضل الله سباقة لخدمة كتاب الله العزيز والعناية بأهله ورعايتهم؛ فأقامت لذلك صروح العلم ودور القرآن والمسابقات المحلية والدولية حتى صارت مثالا يحتذى في العالم الإسلامي.

لا غرو! فإن منة الله علينا عظيمة بأن جعلنا مسلمين، وأنزل على نبينا محمد ﷺ القرآن المبين، فهدانا به للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٩)، قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره (ص/٤٥٤): «من اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره»، فالاهتداء بكتاب الله العزيز لا يكون إلا بتعلمه وتعليمه، والعمل بما جاء فيه من أحكام وإرشادات، والتخلق بالأخلاق الكريمة التي يدعو إليها، لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تعليم حروفه ومعانيه جميعا؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه؛ وذلك هو الذي يزيد الإيمان» (مجموع الفتاوى: ١٣/٤٠٣).

لقد يسر لله سبحانه حفظ كتابه العزيز وسهله على خلقه فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧)، فيسر الله تعالى ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرا، ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه؛ فينبغي على المسلم أن يحرص على تعلم القرآن وتعليمه والعمل به من صغره وحتى في كبره، فإنه يعيش مع القرآن تلاوة وتفقها وتدبرا لمعانيه، فخير ما صرف فيه الوقت، حفظ القرآن، فحامله يحمل راية الإسلام، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو» (حلية الأولياء: ٨/٩٢).

وختاما: فإننا نستقبل عاما هجريا جديدا والأمة تمر في مرحلة صعبة جدا من مراحل تاريخها، إلا أن الهجرة النبوية المباركة لا تزال كنبراس ترك آثارا جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر النبوة، ولكنها امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر، كما أن آثارها شملت الإنسانية عامة؛ لأن الحضارة الإسلامية قدمت ولا زالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الأخلاقية والتشريعية التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، فسيرة النبي ﷺ لا تحد آثارها بحدود الزمان والمكان؛ لأنها سيرة القدوة الطيبة والأسوة الحسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

مجلة كويتية شهرية جامعة

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

تصدرها وزارة الشئون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٧١٩ / المحرم ١٤٤٧هـ
العام الواحد والستون
يوليو ٢٠٢٥م

رئيس التحرير
أمان مصطفى أمان

المراقب المالي والإداري
طلال عواد الظفيري

مدير التحرير
مشاعل فجر العتيبي

التحرير
د. تركي محمد النصر
ريميه شليويح الشلاحي
منيرة متعب الفرتاج

الإخراج والجرافيك
فاطمة جمال الجندي
سيد محمد عبدالقادر

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

سعر النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات
● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات
● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد
● مصر: ٥ جنيه ● السودان: ٠,٥ جنيه
● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠دراهم ● تونس: ٢دينار تونسي،
● فلسطين: دينار أردني ،
CANADA , 4.25CD, UK2.5 POUND

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
● سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	● لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	● كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

المحتويات

٣	**الافتتاحية/** الحلقات القرآنية.. حفظ للقرآن، وأمن للأوطان	أمان مصطفى أمان
٦	**ملف خاص/** الهجرة النبوية.. فوائد ودروس	د. صالح فضل توقة
١٠	الهجرة النبوية الشريفة حدث خالد لا تنتهي آثاره	د. إبراهيم نويري
١٤	ماذا عن شهر الله المحرم؟	د. صابر عبدالحليم مصطفى
١٧	**سنة/** الشمائل النبوية وبناء الشخصية المسلمة	د. محمد أحمد قنديل
٢٠	**تنمية/** مهارة الحوار	د. مرزوق العنزي
٢٢	**فكر/** نظرة تقويمية لتراثنا	أ.د. محمد بن محمد الحجوي
٢٦	**فقه/** الخلفاء الراشدين وأعمال المقاصد	د. عبدالعزيز محمد مبارك
٣٠	**ملف العدد/** أهل القرآن أهل الله وخاصته	د. تركي محمد النصر
٣٤	حلقات القرآن الكريم	حصة الزامل
٣٦	حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الكويت	رحمة العنزي
٣٨	القرآن الكريم بين تهذيب الإنسان وتنقية روحه	محمود شاكر محمود
٤٠	مراكز للنور والهداية	د. السنوسي محمد السنوسي
٤٤	تحفيظ القرآن إلكترونيا	محمد ثابت توفيق
٤٦	تعليم القرآن منذ فجر الإسلام	د. علاء محمد عبدالغني
٤٨	آداب معلمي القرآن	د. محمد عطية متولي
٥٢	حماية الخصوصية في القرآن الكريم	أفلح الزمان
٥٦	حلقات ذوي الهمم في الكويت	أحمد عبدالمنعم عيد
٥٨	جمع الأمة على مصحف واحد	د. أحمد محمد القرعل
٦٢	دور القرآن صروح مباركة	عبدالله الظفيري
٦٤	**لغة وأدب/** الأدب بين حصن العلم واختلاف الثقافات	حسن الحضري
٦٦	الفصحى العامية تجاوز وصراع	د. أبوالمعاطي الرمادي
٦٩	شذرات	عمرو طه
٧٠	بيت العرب	منيرة الفرتاح
٧٢	**أسرة/** الممارسات الأسرية الخاطئة وسبل علاجها	جمال السيد محمد
٧٤	**قضايا/** لماذا؟	علي سلطان السيد
٧٦	مكتبات الأعلام الراحلين بين الهدر والاستثمار	أحمد السيد الهنداوي
٧٨	المهارات النادرة والعمل الخيري	د. محمد أحمد عزب
٨٢	فلسفة الترفيه في المنظور الإسلامي	خلف أحمد محمود أبوزيد
٨٦	**مناسبات/** الهجرة النبوية أنموذج مشرف للأزمات المعاصرة	حسن عباس
٨٨	**حضارة/** تأثر العمارة الغربية بالعمارة الإسلامية	د. نبيل سليم
٩٢	تفسير/ سورة الإخلاص مقصدها وفضلها	د. محمد محمود العطار
٩٣	**مجالس الإفتاء**	عبدالسلام الشبراوي
٩٤	**سلسلة الأعلام المتشابهة** (١٠١)	د. رياض العيسى
٩٥	**كنوز الوعي/** الإيضاح في علوم البلاغة	ياسين محمد كتاني
٩٦	**أعلام الوعي/** عبدالرحمن تاج	هشام الصباغ
٩٧	**ينابيع المعرفة**	يعقوب الجناع
٩٨	**مسك الختام/** أول إعلان لحقوق الإنسان	د. علاء الدين حسن

كلمة العدد

الطمأنينة والسكينة

لا شك بأن الأمن المجتمعي مطلب ينشده الجميع، وأن السكينة والطمأنينة من أهم أركان هذا الأمن، وأن الحلقات القرآنية التي تقيمها الهيئات الحكومية والأهلية في المجتمعات المسلمة هي المكان الأمثل لتنشئة جيل مسلم يشعر بالمراقبة الإلهية على أقواله وأفعاله، ويتمثل الأخلاق الإسلامية التي ينادي بها كتاب الله العزيز، وإن من واقع التجربة مع رواد الحلقات القرآنية يتبين لنا بأن حالة الاستقرار النفسي والسكينة التي يعيشها هؤلاء الرواد لها ارتباط مباشر بما يبثه القرآن في النفوس من طمأنينة وخشوع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)، فلنحرص على هذه المنارات القرآنية؛ فإنها أمن للأوطان والمجتمعات.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-Islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م
عاما

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

«القيادة أنموذجا»

الهجرة النبوية.. فوائد ودروس

يزخر تاريخ الإسلام منذ بعثة النبي ﷺ بلحظات فارقة، وأحداث جليلة، صانعة ومؤثرة فيما بعدها، ويزال صداها يتردد في نفوس المسلمين وتهتز لها قلوبهم، مستخلصين منها العبرة والدروس إلى يومنا هذا، وأشرفها وأهمها على الإطلاق هي ما وقعت في حياة النبي ﷺ وقادها وباشرها بنفسه، ووردت في آيات القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة، مثل: الغزوات والمواقف والأحداث التي وقعت وأفضت إلى أحكام شرعية.

حادثة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة

تعد حادثة الهجرة النبوية من أجل وأهم الأحداث التي وقعت في حياة النبي ﷺ وقادها بنفسه، ونقلتها لنا العديد من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية المطهرة، ولذلك فإن من الخطأ تناول حادثة الهجرة كحادثة تاريخية، ولكن الهجرة أمر شرعي له أحكامه الشرعية المترتبة عليه، يرتبط بعقيدة وإيمان المسلمين وكانت تمحيصا وامتحانا لقوة الإيمان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم في مكة المكرمة، والهجرة

أعلى الله مكانة أصحابها ورضي عنهم من المهاجرين الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، والأنصار أهل المدينة الذين آووا ونصروا إخوانهم المهاجرين، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة:١٠٠) كما وفضلهم على الذين آمنوا وقعدوا عن الهجرة أو أخروها وكانت سببا في عدم موالتهم إلا بشروط بينها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ (الأنفال:٧٢).

هذا وقد وقعت الهجرة النبوية في السنة الثالثة عشرة بعد بعثته ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين» (متفق عليه).

الدروس المستفادة من قيادة النبي ﷺ للهجرة

الهجرة النبوية فيها العديد من الدروس والعبر التي نحتاج إليها لنتعلم منها ونطبقها في حياتنا على مستوى الأمة، والمجتمع، والأسرة، والأفراد، ولعلنا نتوقف هنا أمام درس القيادة، وهو قيادة النبي ﷺ ومباشرته بنفسه لكل تفاصيلها حتى تمت الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١)

ويشير العلامة السعدي في تفسيره إلى مباشرة النبي ﷺ القيادة بنفسه ووجوب التأسي به فيقول: «حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله ﷺ بنفسه فيه؟».

ومن هنا نحاول استخلاص ملامح الدور الذي يجب أن يقوم به القائد والمهام الملقاة على عاتقه كشخص له القدرة على التأثير في نفوس الآخرين ووضع الخطط وإدارة الأحداث والمستجدات التي تقع في حياة من يقودهم في النقاط التالية:

أولا: القدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب والحكمة في تنفيذه

على مدار ثلاث عشرة سنة، عانى المسلمون في مكة، من اضطهاد وتعذيب المشركين لهم والتضييق عليهم والتنكيل بهم وحصارهم وممارسة كل ما أتيح لهم من سلطان وقوة لصدهم عن دين الله، وهذه المشاهد كلها نقلتها لنا كتب الحديث والسيرة النبوية، بما فيها من قسوة وانتقام، لدرجة أن شكى الصحابة إلى النبي ﷺ ما يلاقونه من كفار مكة ففي الحديث: عن أبي عبدالله خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (البخاري).

ولا شك في أن كل هذه الظروف تمثل عوامل ضغط على القائد وتؤثر على عملية اتخاذ القرار وتنفيذه، في ظل المعاناة والشكوى من استمرار هذه الأوضاع والمطالبة بوضع حلول لإنهائها، ولكن النبي ﷺ لم يتخذ قرار الهجرة بصورة عاطفية أو استجابة لضغوط وشكاوى الصحابة، لأن القرار يكون في هذه الحالة قرارا عاطفيا غير مدروس وقد يأتي

بنتائج عكسية يمكن أن تزيد الأوضاع سوء وإنما اتخذه مترويا حتى آتاه الأمر من الله بالهجرة.

وهكذا يجب أن يكون القائد مترويا متعقلا، في اتخاذ قراراته بعيدا عن الشحن العاطفي، الذي قد يحقق نتائج تفضي إلى سوء الأوضاع وتدهورها.

ثانيا: الرؤية المستقبلية

قرارات القيادة يترتب عليها نتائج مستقبلية يمكن أن تستمر آثارها لسنوات وأجيال قادمة، ولذلك يجب على متخذ القرار أن يكون متمتعا بالرؤية المستقبلية لقراراته، ففي حادثة الهجرة الصحابة المهاجرون سيتركون مكة وطنهم الذي ولدوا فيه، وفيه أهلهم وقبائلهم، وبيوتهم وأراضيهم وأموالهم، يتركون كل ذلك ويهاجرون إلى المدينة بلا أهل وبلا بيوت وبلا مال، وهنا لابد من إيجاد البدائل التي تستوعبهم نفسيا واجتماعيا واقتصاديا في موطن هجرتهم الجديد، المدينة المنورة. وهذا ما قام به النبي ﷺ فقرار الهجرة إلى المدينة المنورة كان بعد نجاح بيعتي العقبة الأولى والثانية التي تمت على الإسلام والنصرة والمنعة للمهاجرين ففي مشهد جليل من مشاهد بيعة العقبة الثانية ننقله من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال كعب: فقلنا له -أي لرسول الله ﷺ-: قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك وربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». قال كعب: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: «نعم، فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع أزرنا، فبايعنا يارسول الله، فنحن -والله- أبناء الحروب، ورثناها كابرا عن كابر» (جزء من الحديث: أحمد).

فبعد أن تمت الهجرة آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار لتكون رابطة الدين والعقيدة بديلا وعوضا عن رابطة الدم والنسب بل تفضلها عند الله ورسوله، وكان لهذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية الأثر العظيم في اندماج المهاجرين في مجتمعهم الجديد مع إخوانهم من الأنصار ومن ثم قيام دولة المسلمين الأولى في المدينة المنورة والتي انطلقت منها الغزوات والفتوحات التي نشرت الإسلام وأقامت حضارته في ربوع الأرض.

فالقائد يجب أن يكون بعيد النظر مستشرفا آثار ما بعد القرار معدا ومجهزا للبدائل، ومستعدا لكل الاحتمالات وعلى أهبة الاستعداد للتعامل معها.

ثالثا: الشجاعة والإقدام ومواصلة القيادة

فالقائد يواجه نفس الظروف ويتعرض لنفس الأخطار، بل تزداد خطورة ما يتعرض له كونه القائد، فالنبي ﷺ عايش كل الأخطار التي عايشها الصحابة رضي الله عنهم في مكة، بل تزايدت هذه الأخطار وزادت حدتها عندما أجمع كفار قريش في دار الندوة على قرارهم بقتل النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال:٣٠)، ورغم علم النبي ﷺ بقرار كفار قريش ومحاصرتهم لداره ليلة الهجرة للانقضاض عليه وقتله بمجرد خروجه من باب داره، إلا أنه لم يتراجع وواجه رجال قريش المحاصرين لداره شاهرين سيوفهم عازمين على قتله، فأخذ الله أبصارهم عنه وخرج وأخذ حفنة من تراب يذرها على رؤوسهم وهو يتلو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ (يس:٩).

فالقائد لا ينعزل عن قومه ولا يفر هاربا من ساحة المعركة مهما كانت الظروف، والأخطار التي يتعرض لها، والتي قد تصل إلى جعل حياته هدفا لأعدائه.

رابعا: التوكل على الله والأخذ بالأسباب

النبي ﷺ مؤيد بالوحي في كل أموره، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (النجم:٣-٥) والهجرة من مكة إلى المدينة تمت بوحي من الله إلى نبيه ﷺ كما جاء في الحديث: عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة

إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب» (جزء من الحديث: متفق عليه)، فعلى الرغم من يقين النبي ﷺ بنصر الله له ونجاح الهجرة، إلا أنه لم يركن ولم يتواكل وإنما أحسن التوكل على الله وأخذ بكل الأسباب التي من شأنها نجاح رحلة الهجرة، فاهتم باختيار أفضل الموارد البشرية التي من شأنها تنفيذ خطة الهجرة بدقة، فاختار أبوبكر الصديق رضي الله عنه صاحبا ورفيقا له في رحلة الهجرة، وعبدالله بن أبي بكر يراقب تحركات المشركين وينقلها ليلا إلى رسول الله ﷺ، وأسماء بنت أبي بكر لحمل الماء والطعام إليهما في غار ثور، وعامر بن فهيرة مولى أبو بكر الصديق يسير بالغنم خلفهما ليمحو آثار أقدامهما، وعبدالله ابن أريقط -وكان مشركا- على دين قريش وكان هاديا خريتا استأجره النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ليكون دليلا لهما على الطرق والمسالك الآمنة التي توصل إلى المدينة المنورة بعيدا عن أعين المشركين. ففي الحديث عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «واستأجر رسول الله ﷺ، وأبو بكر رجلا من بني الديل هاديا خريتا، وهو على دين كفار قريش، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث» (البخاري). ومن الأمور المادية أمره ﷺ لأبي بكر الصديق بتجهيز راحلتين للهجرة، واختيار غار ثور كمكان استراتيجي للاختفاء عن أعين الكفار التي تتعقبهم، ومن ثم استلام الراحلتين من عبدالله بن أريقط ومواصلة رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة. فلا يعني كون القائد صاحب حق أن هذا سببا كافيا للنجاح وتحقيق الأهداف، بل لابد من حسن التوكل على الله والحرص على الأخذ بالأسباب التي تساعد على تحقيق الأهداف، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ (الأحزاب:٤٨).

خامسا: الاهتمام بالحالة النفسية

القائد الناجح لا يعيش بمعزل عن اتباعه، بل يخالطهم ويبادلهم المشاعر، ويراعي أحوالهم النفسية في حالات الحزن والقلق والاضطراب، ولاسيما وإن كان مشروع القيادة مشروعا كبيرا يتطلب التضحية المادية والمعنوية مثل حادثة الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فالنبي ﷺ يتفاعل مع مشاعر الخوف والقلق التي انتابت الصديق أبو بكر رضي الله عنه ويسري عنه ويزيل عنه مشاعر الخلق والقلق ويبث في نفسه مشاعر الطمأنينة ويقوي يقينه بنصر الله، وهذا ما نقله لنا الصديق رضي الله عنه ففي الحديث: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يارسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» (متفق عليه).

وفي الآية قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة:٤٠)

والأمة اليوم في حاجة إلى إثارة الوعي بأهمية القيادة ودورها في استعادة الأمة ريادتها، والاهتمام بتخريج قيادات ناجحة في كل المجالات، لا تقتصر على مجال بعينه كما يعتقد البعض ولكنها تشمل كل المجالات وكل المستويات ففي الحديث: عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبدالرجل راع على بيت سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه). هذا وتتدرج القيادة في مستوياتها حتى تصل إلى أن يكون الفرد قائدا لنفسه قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠).

بقلم: د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي

الهجرة النبوية الشريفة حدث خالد لا تنتهي آثاره

المتأمل في الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة «منزل الوحي»، إلى المدينة المنورة «دار الهجرة ومأرز الإيمان» يستيقن بأنها تدبير إلهي من بدايتها إلى منتهاها، وأنها أعظم حدث في تاريخ الإسلام بعد نزول القرآن وختم النبوة، ومن شواهد ذلكم التدبير الإذن بها، والاتجاه جنوبا حيث يقع غار ثور، وقبل ذلك وأهمه بيعة العقبة الأولى والثانية، التي هيأ الله فيها رجالا صادقين في معتقدهم من شباب الخزرج أمثال: عوف بن الحارث، وأسعد بن زرارة، وعقبة بن عامر، ورافع بن مالك، وجابر بن عبدالله، والبراء بن عامر، وعبدالله بن رواحة وعبادة بن الصامت وغيرهم، ولم تكن المرأة غائبة عن هذا التدبير الإلهي، بل كانت ممثلة في هذه البيعة بكل من: أسماء بنت عمرو بن عدي، ونسيبة بنت كعب المازنية[1].

لقد كان ذلك تمهيدا للهجرة وبناء النواة الأولى للمجتمع الإسلامي، إذ إن تشرب الفئة الأولى من الأنصار للإسلام واحتضانها لتعاليمه ومبادئه والاستعداد لنصرته والذياد عن كتابه ونبيه وأتباعه المضطهدين في مكة، كل ذلك جعل الهجرة الشريفة طريقا ممهدا لنصر يلوح في أفق الدين الجديد، وعلامة تبشر بهزيمة الشرك وأتباعه، وما أروع تعبير محمود سامي البارودي رحمه الله تعالى، حين رسم تلك الصورة الواقعية في مطلع قصيدته «الهجرة النبوية» واصفاً النبيَّ ﷺ بقوله:

يستقبل الناس في بدو وفي حضر
وينشر الدين في سهل وفي علم
حتى استجابت له الأنصار واعتصموا
بحبله عن تراض خير معتصم
فكم بهم أشرقت أستار داجية
وكم بهم خمدت أنفاس مختصم

لفظة «الهجرة» و«الهجران» في القرآن

وردت لفظة الهجرة والهجران في القرآن الكريم بدلالات ومعان كثيرة، منها ما يلي:

١- الهجران الجسدي بمعنى الاعتزال: وردت اللفظة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ (مريم:٤٦). وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ (المزمل:١٠).

٢- الهجران بمعنى الترك: وردت اللفظة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ

وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ (النساء:٣٤). وفي قوله أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾(النساء:٩٧).

٣ – الهجران الروحي العقدي: وردت اللفظة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾(النحل:٤١).

وفي قوله أيضا: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (النساء:١٠٠).

٤- الهجران بمعنى الاستقبال والوفادة: وردت اللفظة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾(الحشر:٩).

٥- الهجران بمعنى الجماعة المؤمنة التي هاجرت مع رسول الله ﷺ: وردت اللفظة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ (البقرة:٢١٨). وفي قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾(آل عمران:١٩٥).

إن لفظة الهجرة والهجران كثيرة الاستعمال في القرآن الكريم، وقد وردت في صيغ لغوية ذات دلالات ومعان متباينة، يتضح مقصودها من السياق الذي وردت فيه. بيد أن ذهن السامع حين يقع بصره على لفظة «الهجرة» يتجه أولا إلى «المعنى الاصطلاحي» وهو هجرة النبي ﷺ وصاحبه الصديق أبوبكر الصديق رضي الله عنه[٢]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(التوبة:٤٠). ثم تتابعت بعد نجاح الخطوة الأولى هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة على مراحل متفرقة.

الهجرة والتاريخ

كان العرب قبل مجيء الإسلام يؤرخون للأعوام بأبرز الأحداث والوقائع التي شهدتها أو حدثت فيها، ومن ذلك مثلا عام الفيل، وعام الفجار (سمي بذلك لأن العرب استحلوا الحرمات في القتال)، وعام الغدر (الذي غدر فيه بنو يربوع برسل ملوك حمير الذين كانوا يصنعون كسوة الكعبة المشرفة. ولما جاء الإسلام استمرت هذه النزعة في تأريخ الوقائع، خلال الأعوام الهجرية الأولى، إلى حين عهد أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أطلقوا على السنة الأولى من الهجرة اسم عام الإذن أي الإذن بالهجرة والتحول بالإسلام إلى دار أمان وعهد ومبايعة.

وسموا السنة الثانية من الهجرة عام الأمر أي الأمر بالقتال، وهو العام الذي وقعت فيه غزوة بدر الكبرى، وفرض فيه صوم شهر رمضان. أما العام الثالث من الهجرة فقد سمي بعام التمحيص، وفيه وقعت معركة أحد التي محص الله فيها المسلمين تمحيصا عظيما.

وسمي العام الرابع من الهجرة بعام الترفئة (من مصدر رفأ، نقول رفأ الثوب أي رتقه وأصلحه، والرفاء هو من يصلح الثياب) وفيه حرمت الخمر وطرد يهود بني النضير من المدينة، وروجعت الكثير من قضايا المجتمع المسلم الناشئ، بينما سمي العام الهجري الخامس بعام الزلزال، إذ فيه زلزل المؤمنون بوقوع غزوات كانت تهدف إلى استئصال الإسلام خاصة غزوة الأحزاب ودومة الجندل وبني قريظة. كما وقعت فيه أيضا حادثة الإفك، وهي زلزال آخر أضيف إلى غزوة الأحزاب الاستئصالية.

أما العام السادس من الهجرة فقد سمي بعام الاستئناس، وفيه تمت بيعة الرضوان وصلح الحديبية، أما العام الهجري السابع فقد سمي بعام الاستغلاب، ففيه وقعت غزوة خيبر، وفيه بعث رسول الله ﷺ بالرسائل إلى الملوك وأمراء القبائل يدعوهم إلى الإسلام.

وأطلقوا على العام الهجري الثامن اسم عام الفتح، إذ فتحت فيه مكة المكرمة في العشرين من شهر رمضان، وسمي العام التاسع من الهجرة بعام البراءة، لنزول سورة براءة خلاله، كما سمي أيضا بعام الوفود، إذ فيه أقبلت الوفود على رسول الله ﷺ، معلنة إسلامها، وفيه أيضا وقعت غزوة تبوك.

أما العام العاشر من الهجرة الشريفة فقد أطلقوا عليه اسم عام الوداع، ففيه تمت حجة الوداع وفيه خطب رسول الله ﷺ في يوم عرفة فيما عرف في كتب السيرة النبوية بعدئذ بخطبة الوداع[٣].

وقد استمر نزوع التأريخ بأبرز الأحداث التي تقع خلال عام من الأعوام خلال خلافة أبي بكر الصديق، ومدة من خلافة عمر بن الخطاب، ومثال ذلك قولهم «عام الرمادة» كتسمية للعام الذي وقع فيه قحط وفاقة شديدة تضرر منها المسلمون خلال العام الثامن عشر من الهجرة الشريفة. ولقد ارتأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد تفكير وروية ومشورة ذوي الرأي والحكمة من المسلمين، أن يجعل للمسلمين تاريخا خاصا بهم، وقد اختار الهجرة النبوية الشريفة معلما لبداية التاريخ الإسلامي، ولم يجعل مثلا مولد النبي ﷺ أو وفاته، رمزا للتاريخ الإسلامي، وإنما اختار «الهجرة» تحديدا مما يشي بأن الدولة الإسلامية هي دولة الفكرة والمبدأ والمشروع الذي يستوعب جميع المقاصد الشرعية والإنسانية على السواء[٤].

منجزات الهجرة النبوية الشريفة

تحققت بالهجرة النبوية أهداف حيوية كثيرة للإسلام والمسلمين، نحاول تلخيص أبرزها في هذه المساحة على النحو الآتي:

ـ المؤاخاة وترسيخ صفة الأخوة: لعل أول ما بدأ به رسول الله ﷺ أعماله الشريفة عقب حدث الهجرة مباشرة، المؤاخاة بين أهل الإيمان، وقد قال في ذلك «تآخوا في الله أخوين أخوين» – كما ورد في رواية محمد بن إسحاق أو كما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم عبدالرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد

ابن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فقال لعبدالرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين بيني وبينك، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت مدتها فتزوجها، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن أين سوقكم؟ فدلوه على السوق، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو إلى السوق، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة (طيب يستعمله العروسان) فقال النبي ﷺ: مهيم (أي ما هذا؟) قال: تزوجت امرأة من الأنصار. قال كم سقت إليها أي كم دفعت إليها فقال: وزن نواة من ذهب، فقال: أولم ولو بشاة[٥].

- بناء مسجد قباء في يثرب، يحمل إشارة صريحة على كون المسجد يمثل رمزا حيويا مليئا بالدلالات، فهو المحضن الطبيعي للفرد المسلم والمجتمع المسلم، وفي رحابه يتلقى المؤمنون أحكام دينهم وتوجيهات رسولهم ﷺ، وما ينبغي عليهم القيام به من واجبات تجاه أمتهم والإنسانية قاطبة.

- كان الإسلام قبل الهجرة عقائد وتعاليم وأخلاقا، لا يسمح بظهورها فكيف بتطبيقها! بسبب شدة تعصب مجتمع المشركين في مكة، وعدم السماح بالخروج عن منظومة الشرك، وكان المسلم يخفي إسلامه حتى عن أقرب الناس إليه كأمه وأبيه وأعمامه وأخواله، لكن الهجرة الشريفة، أتاحت للمسلم الاستعلان بدينه والاعتزاز به وتطبيق شعائره وأحكامه، دون أي شعور بوجل أو خوف من التعذيب والاضطهاد والملاحقة.

نتائج ملموسة واضحة

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره، أسفرت الهجرة النبوية عن تجسيد العديد من النتائج والأهداف العملية الواقعية المعززة للإسلام ودعوته أهمها ما يلي:

١- اكتساب مساحة تحرك جديدة للدعوة الوليدة، في بيئة حاضنة تمتاز بالصدق والتضحية والاستعداد للبذل غير المحدود في سبيل نصرة الإسلام والتمكين لبروز أول أنموذج لمجتمع مسلم، وفق تعاليم الإسلام ومقاصده النبيلة في بناء الإنسان الصالح، وليس المواطن الصالح فحسب، لأن الإنسان الصالح نافع للإنسانية في كل مكان وفي أي ظرف، بينما المواطن الصالح قد يقتصر نفعه وصلاحه داخل حدود وطنه وحسب، وهو مفهوم نجده في منظومة التربية الغربية.

٢- أثبتت الهجرة الشريفة أن حقيقة الإيمان تختبر بالأهوال والشدائد، وأن العزيمة الصلبة والاعتصام الصادق بحبل الله يحققان الأهداف والغايات، وكلما كانت تلك الأهداف واضحة ومؤطرة ضمن مخطط عملي، كلما كانت النتائج المأمولة مضمونة التجسيد.

٣- تحققت للمسلمين بالهجرة الشريفة الحرية والمجاهرة بالدعوة، بعد أن كانت الدعوة سرية في معظم المرحلة المكية، إلى جانب التضييق على الفئة المؤمنة الأولى واضطهادها وتعذيبها نفسيا وبدنيا، ومصادرة أموالها وممتلكاتها.

٤- يمكن اعتبار الهجرة النبوية الشريفة الحدث الثاني بعد نزول القرآن وختم النبوة في تاريخ الإسلام كله، فقد ترتب عليها التمكين للإسلام وإقامة دولته والانتصار على كفار قريش وغيرها من القبائل التي ناصبت المسلمين العداء، وكانت نقطة التحول الأولى في مسيرة الإسلام نحو الانديا والانتشار شرقا وغربا.

الهوامش

١ ـ محمد متولي الشعراوي، الهجرة النبوية، ص٤٣.
٢ ـ المرجع نفسه، ص٨٩.
٣ ـ مجلة التضامن الإسلامي، عدد المحرم ١٤١٣هـ، ص٣٩.
٤ـ محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق، ص٣٨.
٥ ـ رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

د. صابر عبد الحليم مصطفى
إمام وخطيب - دكتوراه الفلسفة الإسلامية

ماذا عن شهر الله المحرم؟

يعيش المسلم بين نفحات ربانية، ومنح إلهية؛ تكون سببا في سعادته في الدنيا والآخرة، فإذا أتى عليه شهر رمضان اغتنمه في الصيام والقيام، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، والتصدق على الفقراء والمحتاجين، وإذا أنقضى رمضان، وجاءه شهر الله المحرم علم فضله ونفحاته، فهو دائم الذكر لله تعالى، والتقرب إليه؛ فحياته كلها لله لا يفوت لحظة من حياته إلا ويغتنمها في فعل الطاعات، وترك المنكرات.

وشهر الله المحرم من الأشهر الحرم؛ سمي بهذا الاسم لأنه أحد الأشهر الحرم التي جاء ذكرها إجمالا وتفصيلا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أما إجمالا، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (التوبة: ٣٦)، والحق سبحانه وتعالى يبين أن الظلم منهي كما في الآية الكريمة فهو عام في الأشهر الحرم، وبقية شهور العام، ولكن الظلم في الأشهر الحرم أشد ضررا في الأشهر الحرم، ومن الظلم للنفس أن يفوت المسلم أيامه دون أن يكون له وقفات مع الله عزوجل في طاعة يأتيها، أو معصية يجتنبها. وقد ورد المقصود بالأشهر الحرم تفصيلا، كما في قول النبي الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[1].

فضل شهر الله المحرم

لشهر الله المحرم فضل عظيم، ومنزلة عالية؛ يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات، ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[2]، فإن كان النبي ﷺ يكثر الصيام من شعبان، كما في الحديث، عن أسامة بن زيد، قال: قلت: يارسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى

رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[٣].

فعلى العاقل أن يغتنم مواسم الخير والبر؛ فهي فرص فلا يضيعها، فإذا أقبل شهر الله المحرم اغتنم أيامه ولياليه بالصيام، والذكر، وتلاوة القرآن، والصدقات، وبر الوالدين، وقيام الليل، وسائر أعمال البر والخير التي تعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة. وأعمال البر في الإسلام كثيرة منها: إطعام الطعام، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإنسان:٨)، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ (البلد:١١-١٦).

صيام يوم عاشوراء

ويوم عاشوراء: هو اليوم العاشر من المحرم، وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى عليه السلام، من كيد فرعون، فصامه نبي الله موسى شكرا لله تعالى، ففي الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوما (يعني يوم عاشوراء) فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصامه موسى شكرا لله، فقال: أنا أولى بموسى منهم فصامه؛ وأمر بصيامه»[٤].

وصيام يوم عاشوراء يجمع بين التذكير بنعمة الأمن في نجاة موسى ومن معه من كيد فرعون، وتكفير الذنوب والسيئات؛ ففيه يكفر الله ذنوب سنة ماضية، وقد بين المعصوم ﷺ ذلك، فقال: (صيام يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)[٥].

ويستحب لمن صام يوم عاشوراء أن يصوم قبله يوما وبعده يوما، أو فيصوم التاسع والعاشر، «تاسوعاء وعاشوراء»، ففي الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حين صام النبي ﷺ يوم عاشوراء، وأمرنا بصيامه قالوا: يا رسول الله: إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى، فقال ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفي ﷺ»[٦]. فلنغتنم شهر الله المحرم في فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بسائر أعمال البر والخير، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (المؤمنون: ٦٠-٦١).

الهوامش

١- أخرجه البخاري،ج٤، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين، حديث رقم (٣١٩٧)، ص١٠٧.

٢- أخرجه مسلم،ج٢، كتاب، باب، حديث رقم (١١٦٣)، ص٨٢٢.

٣- أخرجه النسائي في سننه، ج٤، حديث رقم (٢٣٥٧)، ص ٢٠١.

٤- أخرجه البخاري،ج٤، كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ (طه: ٩) ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، حديث رقم (٣٣٩٧)، ص ١٥٢.

٥- أخرجه الترمذي في سننه،ج٣، حديث رقم (٧٥٢)، ص١١٧.

٦- أخرجه مسلم، ج٢ كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء حديث رقم (١١٣٤)، ص٧٩٧.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wasi AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما

د. محمد أحمد قنديل
باحث أكاديمي

الشمائل النبوية وبناء الشخصية المسلمة

رسول الله ﷺ أحب إلى نفوسنا من نفوسنا وأقرب إلى قلوبنا من قلوبنا، والمطلوب الأول من المؤمن أن يحب هذا النبي العظيم، وهذا جزء من العقيدة مكين فيه، وهي محبة مستحقة. والنفوس من طبيعتها تحب الذين اتصفوا بالمحامد، وليس على وجه الأرض رجل توافر له من الكمال ومن الخير ومن الشفقة ومن الرحمة ومن التفاني في إصلاح الإنسان مثل ما للنبي ﷺ، ولو صفت النفوس لأحبته لهذا العطاء الذي أعطاه ولهذا النور الذي أشاعه والمحبة دائما تهون الصعاب والمشاق.

وفي العصور الماضية عاش كثير من العظماء قد دونت الكتب أحوالهم غير أنه لا يوجد أحد من هؤلاء العظماء من دونت أخباره وحفظت سيرته، ونقلت صفاته وشمائله كما كان لنبينا محمد ﷺ.

نقل إلينا ذلك بالنقل الموثق، فسيرة النبي ﷺ أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل من الله سبحانه، فهي سيرة واضحة في جميع أطوارها ومراحلها، وكما قال بعض المفكرين الغربيين: لقد كتبت هذه السيرة تحت ضوء الشمس.

وكتب شمائل وأحوال المصطفى ﷺ من أعلى الكتب درجة، وأرفعها منزلة، وأكرمها شأنا ومكانة، لما تحويه من صور عن حياة الرسول ﷺ تصويرا دقيقا يجعلنا نقف أمام حياته لنتأملها، فتكون لنا سراجا منيرا، وسبيلا مبينا للسعادتين في الدنيا والآخرة، وتجعلنا نقتفي أثره، ونسير على نهجه ومنهجه، حتى نهدى إلى الصراط المستقيم، وكيف لا وهو الذي زكاه ربه بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (النجم:٣) فهو قرآن يمشي على الأرض.

وتعد دراسة الشمائل النبوية الشريفة منهجا قويما لبيان ما للنبي ﷺ من صفات خلقية وأخلاقية، وكيفية تعامله مع أهله وأصحابه وجميع الناس، فإن من يشاهد الشمائل المحمدية يجدها زاخرة بمكارم الأخلاق والأدب العظيم والعفو والكرم وغيرها من الصفات النبوية الكريمة، التي لها الأثر البالغ في حياة الناس.

ودراسة الشمائل المحمدية طريق لمعرفة كيفية الاقتداء برسول الله ﷺ، واتباع هديه، والسير على خطاه، ولزوم سنته، فالشمائل النبوية توضح تعامل النبي ﷺ مع أهله وجيرانه وأصدقائه وأعدائه، ولا يمكن الاقتداء والتأسي به ﷺ إلا بعد معرفة شمائله الشريفة والسيرة النبوية المطهرة.

مخزون الأخلاق

علم الشمائل هو علم الأخلاق الإسلامي، ولقد برع جامعو غرر الشمائل المحمدية الشريفة في

انتقاء أصول القواعد الأخلاقية وأمهات الفضائل التي كان يتحلى بها أشرف الخلق ﷺ، وهو قدوتنا وأسوتنا.

وإن إصلاح الإنسان من خلال شمائله منهج نبوي أصيل، وهو ما يسميه العلماء: التربية بالقدوة. ومعلوم أن القدوة هي أم أصول التربية الخلقية، ومنهجها الإصلاحي ﷺ من خلال شمائله ليس مجرد تعاليم نظرية، أو تطلعات فلسفية، أو كما يقال «حبر على ورق»، بل منهج حياة، وسيرورة نظام، وهو ما عبرت عنه عائشة، رضي الله عنها، بقولها: «كان خلقه القرآن»، ولقد كان رسول الله ﷺ يأخذ بمجامع القلوب بالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة، ولقد كان ذلك أنجح أسلوب لبث القيم ودعوة الناس إليها وترغيبهم فيها، وإقناعهم بها، وكما أن معاني القرآن الكريم غير متناهية لا يحاط بها ولا يسبر غورها، فكذلك أخلاق النبي ﷺ لا يحصيها أحد ولا يرصدها راصد مهما أوتي من قوة البيان وفصاحة اللسان.

مفهوم الشمائل

والشمائل هي: الخصال الشريفة الظاهرة والباطنة للنبي ﷺ، وعرفها المناوي بأنها: «ما كان عليه النبي ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع»[1].

وقال النبهاني: «وقد استعمل علماء الحديث الشمائل في أخلاقه الشريفة ﷺ على أصلها، وفي أوصاف صورته الظاهرة أيضا على سبيل المجاز»[2].

فالشمائل هي كل ما يخص المصطفى ﷺ من الصفات الخُلقية كالصدق والأمانة والرحمة ولين الجانب والشجاعة والعفو، والصفات الخلقية كملامح الوجه ولون البشرة وغير ذلك، كذلك أحواله ﷺ من ولادته إلى وفاته مع نفسه وأهله وأصحابه وجميع الناس.

الفرق بين الشمائل والخصائص

الخصائص هي العلم الذي يختص بالأمور والمسائل والفضائل والخصائص التي امتاز بها النبي ﷺ عن سائر الأنبياء من الناحية التفضيلية والتشريعية، كمعجزات النبي ﷺ الباقية إلى قيام الساعة وهي القرآن الكريم، وعموم رسالته للإنس والجن إلى قيام الساعة، وخصائص اختص بها النبي ﷺ عن أمته كتحريم الزكاة عليه، وجواز الزواج بأكثر من أربع نساء، وغير ذلك.

ويرى بعض أهل العلم أن الشمائل فيها ما هو من خصائصه ﷺ لا إرادة للإنسان فيها: كالوصال في الصيام، ووجوب قيام الليل في حقه ﷺ، وتزوجه بأكثر من أربع نساء وغير ذلك، مما هو من خصائص نبوته ودلائل رسالته. وفيها ما يجب على المسلم التأسي به ﷺ والاقتداء به فيها، وهي أخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة في اليوم والليلة، وطيب معشره مع نسائه، وخدمه، وأصحابه وسائر أصناف

الناس، وزهده، وورعه، وجوده، وكرمه، وشجاعته وإقدامه، وجهاده وسلمه، ورحمته بالناس... فهذه يعنى بها المؤمن المتبع لكونها تمثل سلوك الإنسان السوي المتوازن في سلوكه، وعبادته ومعاملاته، بحيث يحظى منه كل ذي نصيب بنصيبه.

الفرق بين الشمائل والدلائل النبوية

الدلائل النبوية هي العلم الذي يهتم ببيان الحجج القطعية، والبراهين الظاهرة الساطعة التي تدل على صدق نبوة ورسالة النبي ﷺ بذكر الأدلة الحسية كالمعجزات الحسية مثل انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع له، وغير ذلك من المعجزات الحسية، والأدلة المعنوية كخصائصه وفضائله ﷺ، وهناك كتب أفردت عن دلائل النبوة كدلائل النبوة للفريابي (ت:٢١٢هـ)، ودلائل النبوة للبيهقي (ت:٤٥٨هـ).

الإنسان الكامل

لقد مر في هذا العالم آلاف من العظماء والنجباء الذين خلدت ذاكرة التاريخ أسماءهم، واحتفظت بمآثرهم ومعطياتهم، وتتناولهم الأقلام والألسن بالمديح نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، ولا تكاد تنقطع الكتابات والخطابات عن ذكر محامدهم وخدماتهم، وقد يستحقون ذلك أو أكثر.

ولكن الشخصية المثالية التي نتشرف بالحديث عنها في هذه الأسطر تمتاز عن جميع أعاظم التاريخ ونجبائه بخصال وميزات لم يتيسر لغيره أن تجتمع فيه مجموعة.

عاش النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ثلاثا وستين سنة حياة نزاهة وعفاف وطهر، لم يستطع أحد أن يسجل عليه ملاحظة في الدين أو الأخلاق أو المعاملات. وإنما لقبه قومه بـ«الصادق الأمين»، وأعلنوا بكل صراحة: «ما جربنا عليك كذبا». فالصدق والأمانة منبع معظم الفضائل والمكارم. واتصاف الإنسان بهما يعني اتصافه بكل الخصال الحميدة وسلامته من كل الأوصاف الذميمة والخصال الرذيلة. ثم إن الإنسان إذا تجرد من حظوظ النفس والمطامع والشهوات يجد آذانا صاغية وقلوبا واعية حينما يجهر بدعوته أو موقفه في قضية ما. ولا يمكن لأهل الأهواء والمصالح الذاتية معاداته ومصادمته إلى شوط بعيد وإلى مدة طويلة. فالحق أحق أن يتبع. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

الهوامش

١- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ٦٨/٥.
٢- النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، جدة، دار المنهاج، ص:٤٠.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wasi AL-Islami

د. مرزوق العنزي
كاتب

مهارة الحوار

إن تناول الحديث بين طرفين وأكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف يسمى حوارا[1]، حيث إن مفهوم الحوار يشير إلى تداول الكلام بين شخصين أو فريقين أيضا، وكما أن الجدال هو تداول للكلام، كذلك الحوار هو تداول للكلام، لكن الحوار لا يحمل صفة الخصومة، وإنما يحمل صفة الحرص على العلم والفهم والمعرفة والاطلاع، والدافع الأساسي للمحاور الجيد ليس إقناع من يحاوره بوجهة نظره، وليس جعله يقف إلى جانبه، وإنما دافعه الأساسي أن يري محاوره ما لا يراه؛ أي أن يدل محاوره على نقطة لا يراها أو خفيت عليه، وأن يطلعه على شيء غائب عن ذهنه، شيء لا يعلمه، وفي الوقت نفسه -وهو يحاوره- يأمل أن يظفر هو أيضا من محاوره بأن يكشف له عن غموض أمور لا يراها أو لا يعرفها[2].

كما أن الحوار يعد من أهم الوسائل المؤثرة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ومناصحة الآخرين بالرفق واللين، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (النحل:١٢٥).

فالحوار يحمل صفة الحرص على العلم والتعلم والفهم والمعرفة وحب الاطلاع على كل ما هو جديد، ومن أدوار الحوار المختلفة أنه يعد من أهم الوسائل المؤثرة في حل المشكلات الزوجية والأسرية والاجتماعية والأكاديمية والمهنية وفي غيرها من المجالات المختلفة، وبالتالي للحوار دور فاعل في صناعة المواطن الصالح الذي ينعكس دوره بطبيعة الحال على عموم المجتمع، فهذه المهارة تستخدم في التعبير عن الآراء بطريقة وأسلوب مناسب لا يستفز الآخرين ولا يشعرهم بالنقص والدونية ولا تصفية الحسابات، حيث ينتج عن

تلك الإنسانية في الحوار وصول الأطراف المتحاورة إلى منطقة مشتركة، واتفاقهم المبدئي على خطوط رئيسية، فاختلاف الآراء بين الأطراف المتحاورة يعد ظاهرة صحية في حال الرغبة الصادقة في الوصول إلى الحقيقة وليس غير ذلك، قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٣].

وفي المقابل، هناك ظاهرة غير صحية تتمثل في سلوك البعض حينما يفرد عضلاته لكسر عظم الطرف الآخر، حيث تبدأ تلك المرحلة تحديدا عندما تطغى الشدة والحدة على النقاش الودي ثم دخول جميع الأطراف في مرحلة متقدمة من السوء تتمثل في الجدال العقيم، وبالتالي انحراف النقاش السلمي عن المسار الصحيح ليصل بهم الأمر إلى الاصطدام وتشابك الأيادي مرورا بمرحلة الفجور في الخصومة ثم الوصول إلى ما لا تحمد عقباه، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وللوقوف على حقيقة هذه الظاهرة والعمل على إيجاد حل مناسب لها تأتي الحاجة للكشف عن الأسباب التي من الممكن استثمارها في تعزيز القدرة على التنبؤ بالكشف عن النقاش العقيم قبل المشاركة به، ومن ثم اتخاذ القرار الرشيد بعدم خوضه مع ذلك الطرف غير السوي.

والجدير بالذكر أن هناك بعض المسببات التي من المتوقع في حال الوقوف عليها ومعرفتها والإلمام بها والنأي بالنفس عن الوقوع بها أن يحفظ الإنسان نفسه وسمعته وسلامته النفسية من كل المؤثرات السلبية، وبالتالي العيش باستقرار نفسي وسعادة وطمأنينة، وقد جاء بعضها كالآتي:

- عدم القبول النفسي: عدم تمتع المتحاورين بقبول بعضهم لبعض نفسيا.
- الاستعجال بالجواب: الجواب السريع على السؤال المطروح قبل الفهم الدقيق للمراد منه.
- عدم وضوح المفهوم: عدم الاتفاق المسبق على تفسير المفهوم المراد مناقشته بصورة منطقية لا تحتمل أكثر من رأي.
- الاستطراد غير المنظم: الخروج عن صلب الموضوع بسبب الاستطراد غير المنظم بصورة مملة.
- عدم التركيز على نقطة الحوار: مناقشة المثال المطروح أثناء النقاش لتقريب الصورة، وبهدف تقريب وجهات النظر مما يتسبب ذلك في الخروج من الموضوع الرئيسي.
- المؤثرات الخارجية السلبية: مداخلة أحد أفراد الحضور بكلمة أو إشارة مما يؤدي ذلك إلى انحراف النقاش عن مساره بسبب تلك المؤثرات.
- نقاط الاتفاق والاختلاف: تعظيم المتحاورين لنقاط الاختلاف على حساب تجاهل الخطوط العريضة المتفق عليها فيما بينهم.
- المرجعية: عدم وجود مرجعية مقبولة لدى المتحاورين يرجعون لها عند الاختلاف.
- التعصب: التمسك بالرأي الخاطئ والتشبث به إلى أبعد مدى مع الإقرار الداخلي بأن الرأي الآخر هو الصواب.

كما أن تجنب تلك الأسباب السلبية يدفع باتجاه الوصول إلى الحقيقة من خلال بناء حوار متكافئ الأطراف قائم على الاحترام المتبادل ومقارعة الحجة بالحجة بعيدا عن حظوظ النفس التي تورد أهلها المهالك في كثير من الأحيان.

الهوامش

١- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة التنمية الأسرية، مراقبة التوجيه الأسري، قسم التوجيه الديني (ب.ت)، إنما بعثت معلما، نور فارتواء، دولة الكويت.

٢- عبدالكريم بكار (٢٠١٠)، التربية بالحوار، الرياض: مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.

٣- حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عنا ما

أ. د. محمد بن محمد الحجوي
أستاذ التعليم العالي سلا - المغرب

نظرة تقويمية لتراثنا

إن تراثنا العربي قد امتد في الزمان قبل مجيء الإسلام بما يقرب من قرنين، وبعد مجيء الإسلام انتشر في بقاع الأرض شرقا وغربا، وامتد إشعاعه إلى عصرنا الحاضر في كل بلد عربي وإسلامي، وكانت كل تلك المراحل متميزة بالعطاء الخصب والإنتاج الوافر والعمق في الرؤى لكل القضايا التي وصلتنا من روائع الشعر والخطب والأمثال السائرة والحكم المأثورة والمؤلفات الأدبية والعلمية والفلسفية وتراجم الرجال والتفسير وعلوم الحديث. وكان المسلمون منذ الفتوحات الأولى ينقلون معهم لغتهم وأدبهم وفكرهم وعلمهم لكل أرض استقروا فيها، فامتد أريج تراثهم لتنعم به الإنسانية في كل مكان؛ ومن هذا التراث الخصب بنوا حضارتهم التي تميزت بالعلم والإصلاح والتعمير ونشر العدل وتحقيق المساواة وتعميم التكافل الاجتماعي بين كل الفئات سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة. وكانت العلوم المنبثقة من آداب اللغة العربية في شعرها وخطبها ومن كتاب الله المعجز وسنة نبيه عليه السلام مع العلوم العقلية والتجريبية التي أبدعوا فيها تعد جزءا بارزا ومشرقا من هذه الحضارة التي سعدت بها البشرية زمانا طويلا على يد المسلمين. وقد تميزت كل تلك العلوم بالجدة والطرافة والإبداع المتميز في كل صنف منها حتى غدت حضارة الإسلام مهيمنة على العالم من شرقه إلى غربه بالمؤلفات الغزيرة التي تركها علماؤنا في كل مجالات المعرفة الدينية والأدبية والفلسفية والتجريبية والعقلية، لاسيما الرياضيات والمنطق. وقد عرف الغرب قدر قيمتها العلمية والفكرية وأثرها في صنع حضارتهم في عصر الأنوار خاصة، فترجموا جل معارف وعلوم المسلمين، فكانت منارا هاديا لهم، ونورا استضاءوا به للسير في طريق واضح، فأعانتهم على بدء نهضتهم التي ينعمون بها في عصرنا الحديث؛ لكون العلوم

التي أنتجتها الحضارة الإسلامية تميزت بخاصية المعرفة الرصينة والمنهج القويم والتفكير السليم والعلم النافع في كل ميدان بحثوا فيه؛ فابن رشد وابن خلدون والفارابي والخوارزمي وابن سينا.. وغيرهم من أعلام الفكر الإسلامي كانت كتبهم تدرس في الجامعات الغربية المرموقة، واتخذها علماؤهم وأساتذتهم المبرزون مرجعا لهم، فأسسوا منها نواة فكرهم الذي انطلقوا منه لبناء حضارتهم ومجدهم، وقد عبروا عن تقديرهم لفكر المسلمين بما نصبوا لأعلامهم من تماثيل في رحاب جامعاتهم.

هذا التراث الذي تميز بالشمولية في المعرفة الأدبية والاجتماعية والعقلية، وبالعمق والطرافة في الرؤى والأفكار وصواب المنهج، أهمله بعض خلف هذه الأمة ظنا منهم أنه انقضى وولى بذهاب أصحابه وانقضاء زمانه، فتوهموا أن دراسته والبحث فيه ضياع للوقت وهدر للجهد الذي ينبغي أن يبذل في جهات أخرى، بل ادعى البعض أنه لا يصلح لزماننا ولا يعيننا على السير قدما فيما تتطلبه النهضة الحديثة المتميزة بالتقنيات المتطورة والأبحاث الرائدة في كل المجالات التي لا صلة لها بالتراث. هذه النظرة السلبية عند بعض خلف هذه الأمة لم تكن عند الغرب في عصر الأنوار حينما عزموا على نفض الغبار عن عقولهم وعزموا على النهوض بمجتمعاتهم، ولا حتى عند علمائهم في العصر الحديث وقد حققوا من التطور التقني والعلمي الذي لا ينكره أحد، فالكثير من الباحثين المعتدلين منهم قد انكبوا على التراث العربي الإسلامي لدراسته وبحثه وتقويمه وتصويبه ونقده والاستفادة منه، وبذلوا جهدا كبيرا لمعرفة عمق فكره وسلامة منهجه والعلوم النظرية والتطبيقية التي أبدع فيها المسلمون، وكان من نتائج هذه الدراسة إحياء هذا التراث الذي أبان عن الجهود الجبارة التي بذلها أسلافنا في الفنون والآداب والتاريخ والفقه والتفسير والحديث الشريف وحتى في تطوير العلوم العقلية والتجريبية وبخاصة الرياضيات والطب والكيمياء والهندسة المعمارية التي ميزت الحضارة الإسلامية بطابع لم تعرفه الإنسانية من قبل. هذه الجهود دحضت نظرية الغلاة الذين كانوا يعتبرون النهضة الغربية الحديثة هي امتداد للحضارة اليونانية، وأن دور المسلمين في العصور الوسطى لم يزد على حفاظهم على تراث اليونان بالترجمة والصيانة.

وإذا كان بعض علماء الغرب المنصفين قديما وحديثا قد أدركوا مزية التراث العربي الإسلامي والدور الذي قام به في عصر الأنوار، وأقروا بأن أصحابه استحقوا أن يكونوا أساتذة الدنيا بعلمهم ومنهجهم وفكرهم النير، فلماذا يتنكر بعض أفراد هذه الأمة لتراثهم بل تراهم يحملون عليه حملة شرسة وينعتونه بالرجعية وأنه كان مصدر تخلف هذه الأمة؟! نقول هذا ونحن لا نعتبر التراث مقدسا وخاليا من العيوب والهنات وأن كل أمة ينبغي أن تجعله رائدا لها في كل ميادين البحث العلمي والتطور التقني في عصر ازدهرت فيه العلوم الدقيقة وتشعبت الأبحاث لدرجة عالية من الدقة؛ إن من يتشبث بالتراث بهذه الطريقة العمياء يكون جاهلا بقيمته وغير مدرك لأثره في شحذ الهمم للسير على الطريق سار فيه السلف من أجل استيعاب العلوم الحديثة والاستفادة منها، ولما هو مطلوب من كل أمة أن تعتمده في المرحلة الراهنة التي تطورت فيها العلوم بشكل يدعو للعجب والدهشة. إن العناية بالجانب الروحي وبتاريخ الشعوب الفكري والعلمي والتنويري في كل مجال قد تكون ذات أهمية كبيرة في دفع الأبناء للسير على طريق السلف بالإبداع والتجديد والتنوير مثل ما فعل أجدادهم، فلم تقم نهضة المسلمين في العصر العباسي وفي الأندلس المسلمة إلا بهذا الشعور الذي كان يدفعهم دوما للبحث والإبداع والتطوير.

إن التراث هو دراسات أدبية ودينية وفكرية وعلمية ولكل ما بنى وشيد السلف، واجتهد فيه أصحابه في ظروف ملائمة لزمانهم ومكانهم، ولطموحاتهم وآمالهم التي أرادوا

تحقيقها، ودورنا في المرحلة الراهنة ليس تقديسه وجعله هدفا وغاية في كل ما نطمح إليه من نهضة، فالتطور في كل المجالات النظرية والتطبيقية هو الهدف المنشود والمطلوب عند كل الشعوب التي تريد أن تحقق نموا وتقدما علميا وازدهارا اقتصاديا وتجاريا، إن المطلوب في تعاملنا مع التراث هو الاستفادة منه بالقدر الذي يعيننا على مواصلة النهضة الحديثة دون الانفصال عن ثوابتنا الدينية وتاريخنا وأصالتنا وأخلاقنا وعاداتنا وأعرافنا، إنها ثوابت آمنت بها الأمة بالعقل والوجدان والاطمئنان الروحي والنفسي، ثوابت فيها أصالة الفكر واجتهاد الأعلام الثقات من قيم ديننا وأخلاقنا ومواقفنا الإنسانية التي تؤمن باحترام الإنسان وإصلاح الأرض وتعميرها ونشر مبادئ الخير والمحبة والسلام.

وحينما ندرس التراث فإننا ننطلق من هذه الرؤية، رؤية ليست مبنية على أوهام خادعة وتسرع في تقديس الماضي وإهمال النظر في مستجدات العصر الحديث وما تراهن عليه الأمة من أجل التغلب على الصعوبات التي تعاني منها في جميع المستويات. إن الرؤية التي تدعو للحفاظ على التراث والاستفادة من إيجابياته مع مواصلة الأخذ بالتطورات المستجدة في العلوم الحديثة بجميع صنوفها التي تفيد الإنسانية هي قائمة على نظرة موضوعية وواعية بحاضر الأمة وبما هو مطلوب منها في المستقبل. إن أمما كثيرة في عصرنا الحاضر قد حققت نهضة ثقافية وعلمية وتقنية غاية في الدقة في كل الميادين، وأصبحت من الدول المتقدمة بالاستعانة بتراثها الذي أعطاها قوة وإيمانا في الثبات والصمود والسير بخطى ثابتة لتحقيق كل ما ترغب في إنجازه فكريا وعلميا وصناعيا واجتماعيا وأخلاقيا، ولم تعتبر تراثها سدا منيعا أمام طموحاتها، ولعل اليابان خير مثال في عصرنا الحاضر، فهذه الأمة لا يستطيع أحد أن ينكر ما حققت من تطور هائل في العلوم والصناعات والتقنيات المتطورة، كما أنه لا يستطيع أن ينكر أنها حافظت على تراثها واعتزت به كل الاعتزاز وصانته من الضياع، لقد أحيت تراثها وحافظت عليه حتى الذي يمس معتقداتها التي لا يقبلها عقل سليم ووجدان خالص.

وإذا كانت هذه الأمة وغيرها قد وقفت من تراثها هذا الموقف الإيجابي وحققت إنجازا علميا باهرا فكيف يحق للأمة الإسلامية إهمال تراثها الغني بالعلوم الرصينة

شرعية كانت أو أدبية أو فكرية أو علوما تجريبية وعقلية؟! إن تراث الأمة العربية والإسلامية لا ينكر أحد غناه وسعة معارفه وعمق مضامينه الفكرية والإنسانية، وإهماله أو التخلي عنه هو خسارة كبيرة ليس للأمة العربية والإسلامية فقط وإنما للإنسانية كلها، لأنه تراث مس كل الجوانب التي تتجلى فيها الحضارة التي نعمت بها الإنسانية في العصور الوسطى حينما كانت أوروبا تعيش في ظلام وجهل وتخلف، فلا يحق لأي فرد في هذه الأمة أن يطعن فيه ويدعو إلى إهماله وهو يجهل إيجابياته وظروف نشأته وعطاءاته ودوره في إنقاذ البشرية من التخلف، إن الحكم على الشيء قبل الاطلاع عليه يعد جهلا وظلما في حقه.

وإذا كان بعض الغربيين المنصفين قد اطلعوا على كنوز تراثنا وأدركوا أثره في نهضتهم الحديثة فلا يحق لأبناء هذه الأمة التسرع في إصدار الأحكام قبل معرفة مضامينه وأثره في النهضة الغربية الحديثة وما يمكن أن يعود بالنفع عليهم مما في أحشائه من كنوز المعرفة.

إن هذا التراث في جانبه الفكري والنقدي والإبداعي واللغوي والعلمي صدر من أعلام فرق بينهم الزمان والمكان لكن جمعتهم ثقافة واحدة من منابع أصيلة هي الثقافة التي ضمتها لغة الضاد في الشعر العربي بكل صوره ورحابته وأغراضه منذ تغنى به الإنسان الجاهلي إلى العصور التالية، وكذا تأثير القرآن الكريم بما حمل للمسلمين من تنوير فكري وروحي، وأحاديث الرسول عليه السلام التي كانت موضحة لتعاليم القرآن الكريم؛ كل ذلك أحدث تحولا كبيرا في المجتمع الإسلامي، مس كل الجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية.

إن تراثنا العربي والإسلامي متميز بعمق فكره وجودة أدبه وسمو بيانه وصفاء لغته، وهو ما زال قادرا على التأثير في المتلقي وخلق المتعة الفنية والأدبية حتى في العصر الحديث الذي تطورت فيه المذاهب الفنية والأدبية والفلسفية، وهذه سمة من سمات الفكر والأدب الخالدين اللذين يخاطبان الإنسان بما فيه من جوهر أصيل: الروح والعقل والمشاعر والأحاسيس الصادقة، ويسعيان دوما لتركيز المثل العليا والفضائل والأخلاق التي تطمح إليها البشرية في كل زمان ومكان؛ فالحقائق منذ أن أوجد الله هذا الكون لا تتغير لأنها جوهر وأصل، وأما الزبد فيذهب جفاء، هذه هي سنة الكون الثابتة، تظل الحقائق صامدة لأن الإنسانية في حاجة إليها، وأما الزيف والخداع والتضليل فإن خيوطه واهية وجذوره ضعيفة لا يجتاز مرحلته الآنية، ولا يصمد أمام العواصف والهزات العنيفة، وتراثنا العربي الإسلامي بني على الحقائق التي تؤمن بها البشرية كلها.

إن تراثنا ينبغي أن يوليه الدارسون والباحثون كل الاهتمام والجهد لمعرفة ما في أحشائه من كنوز وروائع لا تستخرج إلا بالدرس المتأني مثل ما تستخرج اللآلئ من أعماق البحر بصبر ومعاناة الغواصين.

المصادر والمراجع

- طبقات فحول الشعراء، محمد ابن سلام الجمحي، تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، لأبي القاسم الشريف السبتي، تحقيق وشرح: صاحب المقال، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط١، ١٩٩٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط١.
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

د. عبد العزيز محمد مبارك أوتكوميت
دكتوراه في الدراسات الإسلامية

الخلفاء الراشدون وإعمال المقاصد

قام الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم بالعمل بمقاصد الشريعة في المستجدات والنوازل التي صادفوها في واقعهم، بحثا عن الصواب، ليقينهم أن الغفلة عن المقاصد تؤدي إلى الكثير من الزلل، كما قال الإمام الشاطبي: «زلة العالم، وأكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه»[1]، واتبعوا في ذلك النظر المصلحي بما يجلب المنفعة، ويدفع المضرة، ويرفع الحرج. قال الإمام الغزالي: «علم من الصحابة -رضي الله عنهم -اتباع العلل واطراح تنزيل الشرع على التحكم ما أمكن»[2]. واستلهموا ذلك كله من فهمهم للقرآن الكريم، ومن معاشرة الصحابة للنبي ﷺ، ومخالطة التابعين للصحابة واستفادتهم من فقه الصحابة، زيادة على فهمهم الخاص للقرآن والسنة، وهكذا «سار الصحابة رضوان الله عليهم على تأصل في القرآن وما بينته السنة، من نهج في التفقه في أحكام الشرع وتطلب ما تستند إليه وتنطوي عليه من حكم ومحاسن وما تتغياه من مصالح»[3]، وقال الشاطبي حكاية عن الصحابة: «وهم القدوة في فهم الشريعة، والجري على مقاصدها»[4]، ونماذج ذلك كثيرة نقتصر منها على الخلفاء الراشدين:

أبو بكر رضي الله عنه وإعماله للمقاصد

دفاعه عن النبي ﷺ في مواقف عدة، كدفعه لعقبة بن أبي معيط حينما حاول خنق الرسول ﷺ[5]، لمقصد النصرة والحماية، وأنفق المال في عتق العديد من الرقاب[6]، وعند الهجرة[7]، وفي الغزوات[8]، لمقصد خدمة الدعوة وتقوية جنابها ونيل الثواب وتجنب العقاب. قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل:١٧-٢١). وذكر غير واحد من المفسرين نزول هذه الآية في أبي بكر [9]. وجمع القرآن لمقصد حفظ الرسالة الدعوية الأولى للإسلام. وقاتل المرتدين عن دعوة الإسلام لمقصد حفظ أمن الجماعة المسلمة، وحفظ هيبة الدولة، وحفظ كلية الدين وأنه جزء لا يتجزأ ولذلك قال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[10]. وخاصة إذا كان المرتد داعية ومجاهرا بردته، فتقدم مصلحة الجماعة والأمة على

مصلحة الفرد، ولذلك أبو بكر لم يميز بين من ارتد عن الإسلام ومن منع أداء الزكاة. وعهد إلى عمر رضي الله عنه بالخلافة لمقصد توحيد كلمة الجماعة المسلمة وقطع دابر الفرقة بينها.

إعمال عمر رضي الله عنه للمقاصد

إصراره على إعلان إسلامه[11]، لمقصد إغاظة المشركين وإعزاز الإسلام والتفرقة بين الحق والباطل؛ ولذلك قال ابن مسعود: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»[12]. ومنع عمر رضي الله عنه سهم المؤلفة قلوبهم استثناء من الأصل إعمالا للمقصد الطارئ وهو قوة الإسلام، وإبطال المقصد المتجاوز، وهو تأليف القلوب لضعف الإسلام، وهذا عمل منه بروح النص لا تعطيلا له. وكان يتفقد الناس في صلاة الجماعة لمقصد المحافظة عليها، ويؤثر النوم على القيام لمن تغلبه عينه عن صلاة الصبح لمقصد الحفاظ على الفريضة أولى[13]، ولأن القيام سنة والجماعة واجبة، ولا مفاضلة بين السنة والواجب، وهذا التفقد أيضا لإزالة أعذار المعذورين[14]. وجمع الناس على صلاة التراويح لمقصد لم شمل الأمة، لما رآهم يصلون فرادى أو جماعات متفرقة[15]، وقال: «نعم البدعة هذه»[16]. وفهم بنظره المقاصدي من قوله ﷺ: «إذا دعي أحدكم إلى طعام، فليجب»[17]، عدم استجابة الدعوة إذا كانت إلى مكان تعلن فيه المنكرات[18]. وكان يغلظ على أهله في الوعظ والنصيحة إذا نصح الناس ويقول لهم: «إن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة»[19]، وهذا منه لمقصد حكيم حتى لا يخالف ما يقوله للناس مما يظهر عليه أهله. وكان يقبل النصيحة من غيره في تواضع ويقول: «أحب الناس إلي من أهدى إلي عيوبي»[20]، لمقصد بيان طرق التمكين والعزة لهذه الأمة في التواضع وليس في الكبر.

عثمان رضي الله عنه وإعماله للمقاصد

إنفاق الأموال في تجهيز جيش العسرة[21]، لمقصد إعلاء كلمة الله وابتغاء الجنة. وجمع الناس على قراءة واحدة وهي لغة قريش[22]، لمقصد حسم الخلاف في رسالة المسلمين الدعوية الأولى، وجمع شمل الأمة[23]. وأمر بجمع ضوال الإبل لما كثرت وحفظ ثمنها في بيت مال المسلمين فإن جاء صاحبها أخذ قيمتها[24]، رغم مخالفته للنص ظاهرا، وقد سئل النبي ﷺ عن ضوال الإبل فقال: «ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها»[25]، وهذا منه اجتهاد في تنزيل النص لمقصد حفظ الأموال. ويمكن حمل حديث النبي ﷺ في المنع من أخذها على وقت إمساك الناس عن أخذها[26].

إعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمقاصد

أنه نام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة[27]، لمقصد الافتداء والتضحية بنفسه استبقاء لحياة القائد الداعية، وبقي في مكة

بعد الهجرة أياما[٢٨]، لرد الأمانات لصيانة سمعة القائد الداعية وحفظ عرضه من تهمة خيانة الأمانة. وقدم أروع البطولات في قتال أعداء الدعوة كما في بدر والخندق وخيبر[٢٩]، نصرة للدين والدعوة. وكان داعية بأمر تكليفي من النبي ﷺ فقال له يوم خيبر: «على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[٣٠]، وفي زمن خلافته رفع حد شارب الخمر إلى ثمانين لمقصد حفظ العقول ومقصد الردع بعد أن كان عدد الأربعين غير مؤثر[٣١]. وكف في البداية عن قتال الخوارج لمقصد إقامة الحجة وتربص توبتهم، وقاتلهم بعد أن أقام عليهم الحجة واستطار شرهم لمقصد إراحة المسلمين من شرهم وفتنتهم، قال ابن تيمية: «ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم»[٣٢].

ونفى المقصد الفاسد للخوارج في قولهم: «لا حكم إلا لله»، بقوله: «كلمة حق أريد بها باطل»[٣٣].

وخاتمة الأمر؛ أنه كما كان الإعمال عند الخلفاء الراشدين -فيما سبق التمثيل له- للمقاصد وسواها من الأمثلة كثيرا، نجزم وجود مثله عند التابعين، كامتناع الحسن البصري عن موافقة سائليه عن الخروج على الحجاج[٣٤]، رغم جبروته لمقصد درء الفتنة والقبول بمفسدة أقل. وكان عمر بن عبد العزيز يرسل المرشدين إلى البادية[٣٥]، لمقصد التفقه في الدين ونشر الدعوة. ومكن أهل سمرقند من التقاضي لما دخل الجيش بلدهم غدرا[٣٦]، لمقصد تحقيق العدل والإنصاف ونبذ الظلم. وغيرها من الأمثلة التي تحتاج إلى بحث مستفيض.

لقد كان السلف الصالح يفتون فيما تجدد لهم من قضايا اعتمادا على الأصلين الكتاب والسنة، واعتمادا على ما فهموه من دلالة المقاصد. قال القاضي الباقلاني: «كانوا رضي الله عنهم لا يقيمون مراسم الجمع والتحرير ويقتصرون على المرامز الدالة على المقاصد»[٣٧].

إن هذا الإعمال المقاصدي للسلف وإن تم تحت مسميات عدة، شكل مادة خصبة للأصوليين والمهتمين بأصول الدعوة ومناهجها في العصر الحاضر، والمهتمين بفقه التزكية لاستنباط مسالكهم والاستفادة منها لتطوير البناء المقاصدي في مجال التشريع والدعوة والتزكية.

الهوامش

١ - الموافقات، الشاطبي: (١٣٥/٥).

٢- المستصفى، الغزالي: (٣١٣).

٣- الحكمة والتعليل في القرآن والسنة، عارف علي القره داغي وحسام الدين خليل، مقال منشور بمجلة التجديد، عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، عدد خاص بالمقاصد، المجلد العشرون، العدد التاسع والثلاثون «أ»، السنة: (١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص: ٢٣).

٤- الموافقات:(٧٦/٥).

٥- انظر؛ رواية البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، برقم:(٣٨٥٦).

٦- انظر؛ السيرة النبوية، ابن هشام: (٢٧٨/١).

٧- نفسه: (٩٤/٢).

٨- انظر مثلا ما رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، برقم: (٣٦٧٥).

٩- انظر، جامع البيان في تأويل القرآن/ أبو جعفر الطبري: (٤٧٩/٢٤)، والدر المنثور، السيوطي: (٥٨٣/٨).

١٠- رواه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل من أبى قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، برقم: (٦٩٢٥).

١١- انظر؛ السيرة النبوية، ابن هشام: (٢٩٤/١).

١٢- رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، برقم: (٣٦٨٤).

١٣- عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حتمة؛ أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حتمة في صلاة الصبح. وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق. ومسكن سليمان بين المسجد والسوق. فمر على الشفاء، أم سليمان. فقال لها: لم أر سليمان في الصبح. فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه. فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة، أحب إلى من أن أقوم ليلة. رواه مالك في الموطأ، كتاب: السهو، باب: ما جاء في العتمة والصبح، برقم: (٤٣٢).

١٤- انظر: موسوعة فقه عمر، محمد رواس قلعة جي: (٥٧١).

١٥- المرجع السابق: (٥٨٧).

١٦- رواه البخاري، كتاب: صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان، برقم: (٢٠١٠).

١٧- رواه مسلم، كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم: (١٤٣٠).

١٨- أنظر: موسوعة فقه عمر، محمد رواس قلعة جي: (٣٩٨).

١٩- الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير: (٤٣٤/٢-٤٣٥).

٢٠- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي: (١٤٥).

٢١- البخاري، كتاب: الوصايا، باب: إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، برقم: (٢٧٧٨).

٢٢- البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، برقم: (٤٩٨٧).

٢٣- رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، برقم: (٢٩٤٢).

٢٤- روى مالك في الموطأ عن ابن شهاب ابن شهاب يقول: «كانت ضوال الإبل في زمان عمر بن الخطاب إبلا مؤبلة تناتج. لا يمسها أحد. حتى إذا كان زمان عثمان بن عفان، أمر بتعريفها. ثم تباع. فإذا جاء صاحبها. أعطي ثمنها». كتاب الأقضية، باب: القضاء في الضوال، برقم: (٥١).

٢٥- رواه ابن حبان، كتاب اللقطة، باب: ذكر البيان بأن المرء ممنوع عن أخذ ضوال الإبل دون غيرها من سائر الضوال، برقم: (٤٨٩٨). وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: (٢٦١/١١).

٢٦- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي: (١٤٣/٦).

٢٧- دلائل النبوة، إسماعيل الأصبهاني: (٦٦).

٢٨- الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر: (٨٥).

٢٩- أنظر على سبيل المثال كتاب المغازي عند البخاري، والجهاد والسير عند مسلم من باب غزوة خيبر، ومناقب علي في كتاب فضائل الصحابة عند البخاري ومسلم.

٣٠- رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، برقم: (٢٩٤٢).

٣١- جاء في مشورة عمر لعلي في قوم من أهل الشام شربوا الخمر قال: ما تقول يا أبا الحسن فيهم؟، قال: «أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشرب الخمر»، رواه بن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: الحدود، باب: في حد الخمر كم هو وكم يضرب شاربه؟ برقم: (٢٨٤٠٩).

٣٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٢٨٢/٣).

٣٣- انظر رواية مسلم، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، برقم: (١٠٦٦).

٣٤- انظر الطبقات الكبرى، ابن سعد:(١٢١/٧).

٣٥- المرجع السابق: (١٢١/٧).

٣٦- انظر تمام القصة في تاريخ الطبري: (٥٦٧/٦-٥٦٨).

٣٧- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك الجويني: (١٣٨/٢).

سنوات عاما
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

د. تركي محمد النصر
باحث وكاتب

أهل القرآن..

أهل الله وخاصته

غراس الهدى تفيض بيانا

الحمد لله منزل القرآن رحمة للعالمين، ومنارا للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد أنزل الله تعالى القرآن العظيم للتأمل والتدبر، وليكون منهجا ونبراسا يستضاء به في إصلاح القلوب وتربية النفوس وتهذيب الأخلاق؛ لذلك اعتنى به النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم وسلف الأمة الصالح رحمهم الله، ولم يقتصروا على مجرد تلاوته فقط، وإنما كانوا يعتنون بشرح آياته، وأسباب نزولها، وتوضيح معانيها؛ حتى يكون له الأثر البالغ في تربية النفوس وصقل العلوم والفهوم.

التربية القرآنية.. تلاوة ومعرفة وتعلم

فالتربية القرآنية تكون بتلاوة ألفاظه، ومعرفة مضمونها، وتعلم أحكامه وتعليمها؛ لقوله جل جلاله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

لقد جمع منهج النبي ﷺ في تعليم القرآن الكريم بين التلاوة والتزكية والتعليم، وهذا هو المنهج القويم الذي يؤدي إلى النتائج المرجوة، فالتربية على ضوء هذا المنهج المبارك تحتاج إلى بيئة خصبة يلتف فيها الطلبة حول كتاب الله العزيز، وهذه البيئة المباركة هي بيئة الحلقات القرآنية، فلا يمكن للمسلم تعلم كتاب الله تعالى إلا من خلال عرضه على أهل التخصص ليأخذه من أفواه العلماء كما أخذوه هم عن مشايخهم وهكذا إلى نبينا ﷺ عن جبريل عليه السلام عن

رب العزة جل جلاله، ولا ينبغي لهذا التلقي أن يقتصر فقط على مجرد الحفظ والسرد للآيات القرآنية، بل ينبغي أن تفهم المعاني وتوضح المبهمات ليكون طلاب الحلقات على دراية بكتاب ربهم العزيز، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة: ١٢١). فالأمر ليس مجرد تلاوة أو حفظ، وإنما يتلونه تلاوة تجمع بين المعاني الثلاثة: تلاوة وتزكية وتعلما، كما يشير العلامة ابن كثير إلى ذلك في تفسيره (٢٢٦/١)، وقال علامة الصحابة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله» ينظر: تفسير ابن كثير (٢٢٦/١). لا غروا! فأهل القرآن هم الذين يؤتى بهم يوم القيامة تضيء لهم سورتا البقرة وآل عمران بنورهما وضيائهما إنهم من كانوا يعملون به، ويطبقون ما فيه، قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران» (رواه مسلم)، فهؤلاء أشربوه منذ نعومة أظفارهم، فأثر في سلوكهم وأخلاقهم وسيرتهم حين شبوا، فحق للشاعر أن يصفهم بقوله:

تحلقوا حول آي الذكر مذ فطموا
واشربوه مع الألبان إيمانا
ثم انثنوا في شباب العمر ثانية
يفتشون عن الأحكام أزمانا
حتى أنالهم الرحمن تكرمة
علم الكتاب أسانيدا وبرهانا

أهل القرآن وحلل العز والكرامة

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بريدة بن الخصيب رضي الله عنه أن قال: كنت عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنت اليوم من وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا»، فهذا العطاء الجزل الذي يعطيه الله لحامل القرآن ووالديه يدعونا للحرص والمبادرة بأنفسنا، وحث من تحت أيدينا من البنين والبنات لحفظ كتاب الله وتلاوته والعمل به؛ حتى نحوز على المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة التي أخبر بها رسول الله ﷺ عن مكانة أهل القرآن بقوله: «إن لله أهلين من الناس»، قالوا: يارسول الله، من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته» (رواه النسائي)، فأكرم بهم من قوم قد اختار الإله قلوبهم لتصير من غرس الهدى بستانا، ولله در الشاعر إذ وصفهم بقوله:

أكرم بقوم أكرموا القرآنا
وهبوا له الأرواح والأبدانا
قوم قد اختار الإله قلوبهم
لتصير من غرس الهدى بستانا
زرعت حروف النور بين شفاههم
فتضوعت مسكا يفيض بيانا
رفعوا كتاب الله فوق رؤوسهم
ليكون نورا في الظلام... فكانا
سبحان من وهب الأجور لأهلها
وهدى القلوب وعلم الإنسانا

لقد كان رسول الله ﷺ يكرم أهل القرآن، ويشهد لهم بالخيرية بقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري)،

ويقدمهم على كبار القوم، ويجعلهم دائما في الريادة، بل ويقدمهم لإمامة المسلمين؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط»، بل بشر النبي ﷺ أهل القرآن بأن القرآن يشفع لهم يوم القيامة، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه».

لا غرو! فقارئ القرآن كالمطر أينما حل ينفع، وقد مثل النبي ﷺ لقارئ القرآن وغيره بمثل جميل محسوس، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر».

الجائزة العظمى والمكانة الرفيعة

أما جائزة أهل القرآن العظمى، فيكفيهم شرفا أنهم يدعون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد للتكريم في ذلك الموقف الرهيب الذي قال الله عنه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:٢)، ففي هذا اليوم الموعود يجيء صاحب القرآن -كما قال النبي ﷺ- فيقول القرآن: «يا رب حله؛ فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده؛ فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه؛ فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق» (رواه الترمذي)؛ فهنيئا لحامل القرآن هذه المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة.. منزلة الكرامة والعز والفخار.

يا رب أكرم من يعيش حياته
لكتابك الوضاء لا يتوانى
يا منزل الوحي المبين تفضلا
ندعوك فاقبل يا كريم دعانا
اجعل كتابك بيننا نورا لنا
أصلح به ما ساء من دنيانا
واحفظ به الأوطان، واجمع شملنا
فالشمل مزق، والهوى أعيانا

حذار من التفريط

لقد ذمت شريعتنا الغراء كل من يضيع أحكام القرآن، أو يفرط في العمل به، أو يتجاوز حدوده وينتهكها، إذ يقول الله جل جلاله في هؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤)، ويقول الحسن البصري رحمه الله: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله.. وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس! والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة.. متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس أمثالهم» ينظر: الزهد لابن المبارك (ص/٢٧٦).

غراس الهدى تفيض بيانا

إن الحلقات القرآنية يجب أن تكون المحضن التربوي والركيزة الأساسية في التربية، والوسط الذي يتفاعل فيه المعلم مع طلابه والتلميذ مع أقرانه ونظرائه، ويتلقى فيها الطالب المفاهيم التربوية، وتعالج فيه أخطاؤه، وتصحح فيه

انحرافاته، لأنها هي الأقوى تأثيرا من حيث الأثر التربوي على النفس، وخاصة عند الصغار والناشئة.

كما أن على المعلم والمربي غرس القيم والمفاهيم في هذه الحلقات، وتعاهد سقيها ورعايتها، وتحقيق كافة احتياجات الطالب الشخصية، والوجدانية، والنفسية، والعقلية، والاجتماعية، والثقافية، حتى يكون متأثرا بالقرآن مؤثرا به.

الأثر التربوي للحلقات القرآنية

إنه لا يخفى على أهل التربية ما للحلقات القرآنية من أثر بالغ في نفوس الملتزمين بها، وتكمن هذه التربية في الأثر الملموس الذي تتركه الأجواء القرآنية في هذه الحلقات، حيث الشعور بالروحانية والأمان النفسي والهناء الداخلي والسعادة القلبية والسرور والبهجة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

فمن ينظر إلى من تربوا في الحلقات وإلى من هجرها يجد أن هناك فرقا كبيرا وواضحا بين التلاميذ الذين تلقوا تربية في الحلقات وغيرهم، وذلك من حيث الأدب، والسمت، والاستقامة على منهج القرآن، والمبادرة إلى الطاعات.

لا غرو! فالقرآن الكريم جاء ليربي أمة، وينشئ مجتمعا ويقيم نظاما، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال وتحوله إلى واقع.

الحلقات القرآنية في الكويت

إنه لا يخفى على أحد الدور الجليل الذي قامت به دولة الكويت في إحياء سنة الحلقات القرآنية إذ بدأت بالانتشار مع اللبنات الأولى لنهوض هذه الدولة المباركة، فما من حي إلا وفيه حلقة أو مدرسة أو دار للقرآن الكريم وعلومه، لقد بذلت وزارة الشؤون الإسلامية بدولة الكويت وما زالت تبذل الدعم الإداري والمالي للارتقاء بهذه الحلقات حتى صارت نبراسا لبقية دول العالم، ويميزها التعاون الحكومي والأهلي، ومن هذه الحلقات تخرج ثلة من الحفاظ صاروا يؤمون الناس في المساجد ويقرؤون في المحافل القرآنية المحلية والدولية، وكانوا كالنجوم الساطعة في سماء المسابقات القرآنية المحلية كمسابقة الكويت الكبرى، والمسابقات الدولية كجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته؛ فسر الله بقراءتهم الخواطر، حتى صدق قول الشاعر فيهم:

من كل صوب جاء قلب خافق
يستعذب الترتيل والإتقانا
غرباء من كل البقاع تجمعوا
هجروا الديار وودعوا الأوطانا
غرباء لكن قد تآلف جمعهم
صاروا بنعمة ربهم إخوانا

❖ وختاما:

لقد كان السلف رضوان الله عليهم أحرص ما يكونون على تعليم أولادهم كتاب الله تعالى، ليكون نعم العون لهم على سلوك صراط الله المستقيم والثبات عليه، قال الحافظ السيوطي رحمه الله: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأ على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال». وقال العلامة ابن خلدون رحمه الله: «تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات».

فعلينا جميعا مسؤولية كبيرة تجاه أبنائنا وبناتنا وذلك بالحرص على تعليمهم القرآن الكريم، لأن تعليمه للناشئة له أثر عظيم في رسوخ العقيدة وثباتها في نفوسهم وسلامة جوارحهم وقلوبهم من الشهوات والشبهات المفسدة، وهدايتهم في حياتهم إلى أرشد أمرهم خلقا وأدبا وتدبيرا لشؤون حياتهم.

حصة الزامل
كاتبة وقاصة

حلقات القرآن الكريم

إن مما اختصت به الأمة المحمدية إقبالها على تعلم كتاب ربها وتعليمه وحرصها على حفظه وتحفيظه، ولذا فقد أسست لذلك الدور والمراكز والمدارس القرآنية، فنجد الناشئ من أبنائها يلتحق بتلك المحاضن الإيمانية والمجالس القرآنية منذ نعومة أظفاره وباكورة صباه ليتلقى فيها كلام ربه ويدخل إلى صدره نور آياته المباركات.

ولقد أخذت هذه الحلقات القرآنية منذ أول ظهور لها حتى عصرنا الحاضر في الانتشارِ والتوسع، رغم الاختلاف في منهجها وطريقها في التمدد والتوسع على مستوى عالمنا الإسلامي بدويلاته وأقلياته. والفضل لله أولا وأخيراً، ثم لجهود المخلصين والصادقين من أبناء الأمة الذين وهبوا أنفسهم للقرآن وبذلوا أوقاتهم لنشر أنواره في الخافقين.

دار القرآن الكريم مؤسسة تربوية تعنى بتعزيز الجانب الثقافي والشرعي في المجتمع وتسعى إلى مساندة الدارسين والدارسات على حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله وتلاوته وتعلم أحكام التجويد، وتزويدهم بالعلوم الشرعية من فقه، حديث، تفسير، عقيدة وسيرة وغيرها. وهذه الدور تعمل على تنمية الوعي الديني بين أفراد المجتمع وتصحيح الأفكار الخاطئة، وتحصين المجتمع من أخطارها بمواجهة ما يستجد على الساحة من ممارسات وتصرفات تسيء إلى تعاليم الدين وعادات مجتمعنا وتقاليدنا، كما تعمل على المحافظة على كيان الأسرة المسلمة وحمايتها من الأخطار التي تهددها، والعمل على نشر القيم والفضائل والأخلاق.

فقد تميزت الكويت منذ القدم بحفظ القرآن الكريم عن طريق الكتاتيب والمساجد، وهذا التميز أرسى قواعده الآباء والأجداد.

المطوع والمطوعة والملا هم معلمو ومعلمات الزمن القديم في الكويت، حينما كان التعليم يمارس في أبسط صورة داخل أروقة الكتاتيب.

ويعد الكتاب وجمعها كتاتيب «الأنموذج» الأول لنظام التعليم في الكويت قديما والذي يرجع الفضل إليه في نشر العلم بين الناس آنذاك.

وغالبا ما يكون بيت المطوع أو الملا هو مقر الكتاب، وفي بعض الأحيان يكون المقر في بيت يتم استئجاره لهذا الغرض، حيث يتم تدريس الطلبة وهم جلوس على الأرض، ويجلس الملا أو المطوع على صندوق خشبي مقابل التلاميذ.

كان كل حي تقريبا في الكويت يوجد به كتاب، يتوجه إليه الأولاد لحفظ القرآن الكريم وتعلم المبادئ الأولى في القراءة والكتابة والحساب، فيما توجد في بعض الأحياء «الفرجان» امرأة تلقب بالمطوعة وهي التي تقوم بمهمة تعليم الفتيات. (كان تعلم الفتيات يقتصر على تحفيظهن القرآن الكريم فقط، عكس الصبية الذين كانوا يتعلمون الكتابة والحساب).

كان المطوع يكرر الآيات القرآنية والصبية يرددون معه إلى أن يتم حفظها، ويقام احتفال عند إتمام الطالب لدراسة القرآن الكريم، ويطلق عليه (الختمة).

مع مرور الوقت كثرت أعداد الكتاتيب وأصبح الناس يعون قيمة التعلم ويقدرونه، مما زاد في عدد الأبناء المتوجهين لتلك المدارس وينظر الناس إلى الملا أو المطوعة نظرة احترام وإكبار للعمل الجليل

الذي يقومون به ولمكانة الملا العلمية والاجتماعية وتدينه واستقامة سلوكه.

كانت مهنة التدريس في هذه المدارس مهنة متوارثة ومن أشهر من عمل بهذه المهنة الجليلة (آل عدساني) و(آل بودي) وغيرهما العديد، كالملا محمد الفارس في محلة القناعات، والملا حمادة في فريج سعود، والملا راشد الصقعبي وابنه الملا سعد في محلة المرزوق.

ومن أشهر المطوعات (فاطمة المسباح) في الحي الشرقي والمطوعة (لؤلؤة البناي) في الصالحية، والمطوعة (مريم اليعقوب) في الحي القبلي والمطوعة (حصة الحنيف).

ونظرا للإقبال المتزايد على التسجيل في دور القرآن الكريم، كان لابد من وجود منشآت مناسبة لاحتضانهم وهو ما حققته وزارة الشؤون الإسلامية من خلال إنشاء وإنجاز مبان متكاملة تعود ملكيتها الكاملة إلى وزارة الشؤون الإسلامية، سواء من ميزانية الوزارة أو من خلال مساهمة المتبرعين، بما يمكنها من تأدية رسالتها السامية في تأصيل الأخلاق والفضائل في التعامل والسلوك، قامت العديد من البرامج والفعاليات والخدمات التي قدمتها الدور للجمهور في مختلف مناطق البلاد والتي أصبحت مطلبا شعبيا ورغبة ملحة لدى الجمهور من شتى شرائح المجتمع ومعلما ثقافيا بارزا وصرحا إسلاميا عاليا في الكويت يدعو إلى الفخر، قامت برفع مستوى الإقبال على دور القرآن الكريم، وتنمية القائمين على تحفيظه وتخريج الحفظة المتقنين وتنمية مهاراتهم.

بدأت دور القرآن الكريم في الكويت تأخذ صدى أكبر على مستوى العالم الإسلامي نظرا لعلوم القرآن الكريم التي تقوم بتدريسها وكذلك العلوم الشرعية، كما أنه من الواضح حرص الأهالي على تسجيل أبنائهم بها، مما شجع القائمين على مهمة استكمال الطريق وتكاتف الجهود من خلال المجال الإداري والفني والهندسي.

ولمراكز ودور القرآن الكريم العديد من الأهداف منها:

تزويد الدارسين والدارسات بالقدر المناسب من العلوم الشرعية والثقافية والإسلامية.

الاهتمام بالقرآن العظيم حفظا وتجويدا وتفسيرا.

الالتزام بسنة رسول الله ﷺ حفظا وسلوكا، والسعي على نشرها وتعليمها.

السعي لتكوين الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع قضايا الأمة المعاصرة.

تنمية القيم وتفعيل الاتجاهات الإسلامية لدى جميع شرائح المجتمع لتحصين الأجيال بالمقومات والسلوكيات الإسلامية.

الإلمام بعلوم اللغة والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

تعميق الشعور بالمسؤولية نحو تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

كما أن لدور القرآن الكريم أهمية كبرى لدى دول العالم الإسلامي في تشجيع أبناء المسلمين على الإقبال على كتاب الله عزوجل، فقد نظمت رابطة العالم الإسلامي العديد من الأنشطة التي استفاد منها الكثير، في ١٥ بلد إسلاميا في ثلاث قارات، تضمنت مسابقات ودورات لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده بمختلف القراءات، كما تضمنت حفلات لتخرج حفظة كتاب الله المتقنين والمجودين والإعلان عن تخصيص منح دراسية، وتوزيع المصاحف والمشاركة في البرامج التلفزيونية لتحفيظ القرآن الكريم.

واشتملت المسابقات القرآنية على ثلاثة مستويات وهي المحلي على مستوى الدولة، والإقليمي على مستوى القارة والعالمي.

بما في ذلك الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم والتي أنشئت بقرار من المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢١هـ كأول هيئة متخصصة في العالم لخدمة وتعليم القرآن الكريم والعلوم المتصلة به والعناية بحفظه، وأن تصبح المرجع لمؤسسات تعليم القرآن الكريم على مستوى العالم كهيئة عالمية خيرية تقيم الأنشطة والدورات القرآنية بانتداب معلمين ذوي كفاءة علمية وتربوية للقيام بتدريب وتأهيل المدرسين التابعين لها والخريجين من معاهدها.

توسعت أنشطة الهيئة لتشمل ٦٥ دولة في آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية وأستراليا، لتجعل جل اهتمامها تخريج حفظة القرآن الكريم بطريقة نموذجية.

وفي الختام؛ فإن الحلقات القرآنية ليست مجرد تجمعات لحفظ القرآن، بل هي منارات للعلم والتربية تسهم في بناء مجتمع متماسك، قائم على القيم الإسلامية النبيلة، وتعليم القرآن الكريم ونشره مسؤولية جماعية تحتاج إلى دعم ومساندة الجميع لما له من أثر عظيم في تهذيب النفوس ونشر السلام وإعداد أجيال صالحة تخدم دينها ومجتمعها.

فلنكن جزءا من هذا العمل الجليل، عبر دعم الحلقات القرآنية والمساهمة في نشر نور القرآن في كل بقاع الأرض ليبقى القرآن الكريم هاديا ومرشدا للأجيال القادمة.

المصادر

١- وزارة الشؤون الإسلامية (إدارة الدراسات الإسلامية).
٢- جريدة الراي.
٣- رابطة العالم الإسلامي.
٤- الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم.

رحمة العنزي
باحث شرعي

حلقات تحفيظ القرآن في الكويت
منارة علم وتربية تصنع أجيالا واعدة

تعد حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية في الكويت صرحا تعليميا وتربويا متميزا، يساهم في نشر الثقافة القرآنية بين مختلف فئات المجتمع تحت إشراف إدارة شؤون القرآن الكريم، وقد حرصت وزارة الشؤون الإسلامية على توفير هذه الحلقات بالقرب من جميع الأفراد عبر توزيعها في مختلف المحافظات والمناطق، ولا تقتصر هذه الحلقات على المساجد فحسب بل تمتد إلى المراكز القرآنية المتخصصة، مما يتيح الفرصة أمام الجميع لحفظ القرآن الكريم وإتقان تلاوته وفق أحكام التجويد.

ولمواكبة التطور التقني، أنشأت الوزارة منصات تعليمية عبر الإنترنت لتتيح للطلاب والطالبات تلقي الدروس عن بعد، مما يسهل عليهم حفظ القرآن الكريم. وقد ساهمت هذه المبادرة في تعزيز دور الكويت الريادي في تعليم وتحفيظ كتاب الله، إذ أصبحت التجربة الكويتية نموذجا يحتذى به في العديد من الدول الإسلامية.

أما عن الشريحة التي تستهدفها وزارة الشؤون الإسلامية وإدارة شؤون القرآن الكريم، فليست حكرا على فئة معينة بل تشمل جميع الفئات العمرية، فالأطفال خصصت لهم مراكز «القارئ الصغير»، التي تهدف إلى تعليمهم أسس ومبادئ اللغة العربية، وتعويدهم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، بالإضافة إلى معالجة ضعف القراءة[1].

أما عن فئة الشباب والمراهقين فقد وفرت لهم الوزارة حلقات التحفيظ في المساجد والمراكز المتخصصة مثل مركز «الشاطبي» الذي يهدف إلى تخريج حفظة متقنين لكتاب الله من فئة الناشئة والشباب وذلك تحت إشراف أكفأ المحفظين، كما نظمت مسابقات قرآنية مثل «مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم» التي تشجع الشباب على مواصلة الحفظ والتدبر[2].

ولم تنس كبار السن فقدمت لهم برامج «دور القرآن

الكريم» وحلقات المساجد، مستهدفة الرجال والنساء والراغبين في تحسين تلاوتهم وإتقان التجويد، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم مما يضفي على حياتهم السكينة والطمأنينة[٣].

إن حرص وزارة الشؤون الإسلامية وإدارة شؤون القرآن على دعم حلقات ودور القرآن ما هو إلا انعكاس لأهميتها وأثرها العميق في الفرد والمجتمع، فهي تؤدي دورا في بناء جيل واع، تعلوه سمة الهوية الإسلامية، وذلك بتوثيق القيم الإسلامية، والمحافظة على عقيدة التوحيد، إضافة إلى غرس الأخلاق الفاضلة التي حث عليها ديننا الحنيف، لقد قال رسولنا الكريم: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا، أحاسنكم أخلاقا» (رواه الترمذي)؛ ولهذا تحرص دور حلقات التحفيظ على غرس الأخلاق الفاضلة وصناعة أجيال يتحلون بالاستقامة والمسؤولية تجاه المجتمع، مما يسهم في محاربة الأفكار الدخيلة وتعزيز الفكر المعتدل.

وهكذا تصبح الحلقات ودور القرآن حصنا يحمي الشباب من الانحراف وراء التيارات الفكرية الفاسدة وتمنحهم القدرة على التمييز بين الحق والباطل، كما أنها كذلك تعزز الترابط الاجتماعي بتوفير بيئة تعليمية تربوية تجمع بين الطلاب والمحفظين، مما يخلق جوا من الألفة ويساعد على بناء علاقات اجتماعية قائمة على المحبة والتعاون، فهذه الصحبة الصالحة التي اجتمعت على حب الطاعات يعين بعضهم بعضا على الخير والاستقامة، وكما قال الشافعي ليوسف: «إذا كان لك صديق يعينك على الطاعة فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل»[٤].

إن هذه المجالس المباركة التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة، هي موطن السكينة والطمأنينة، كما قال النبي ﷺ في فضل تعلم القرآن وتدارسه: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

ومن هنا، يسيطر حب القرآن على نفوس الطلاب، ويتولد لديهم حب معرفة المزيد من العلم والتعمق به، لأنها ليست مجرد دروس علمية، بل منهج رباني محكم.

إن ما تخرجه حلقات التحفيظ ودور القرآن ليس كغيره من المخرجات، فهم نخبة الأمة ونبراس المجتمع، إنهم أئمة المساجد الذين يقيمون الصلاة، وخطباء المنابر الذين يحيون القلوب الغافلة بكلماتهم، وهم معلمو الأجيال ومحفظو القرآن الكريم، وقادة المستقبل، وهم ملاذ التائهين بالدعوة إلى الله، وطمأنينة القلقين بتلاوة كلام الله، وقدوة للأجيال، درسوا كتاب الله وحفظوه فحفظهم ورفعهم فقد قال النبي ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين» (رواه مسلم).

وهذا دليل على أن حفظة القرآن هم من يرتفع قدرهم في الدنيا والآخرة، ويصبحون قادة المجتمع ورواده.

وعلى هذا، فإن حلقات تحفيظ القرآن في الكويت ليست مجرد محاضن لتعليم الحفظ وتجويده، بل هي مدارس تخرج أجيالا متسلحة بالإيمان، مزودة بالعلم، قادرة على حمل لواء الوسطية ونشر القيم الإسلامية الأصيلة، فبها تبنى العقول، وتزكى النفوس، ويتهيأ جيل قادر على القيادة والتأثير الإيجابي في مجتمعه. وما أعظم شرف الانتماء إلى أهل القرآن، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

ولذلك، فإن دعم هذه الحلقات واستمرارها هو مسؤولية المجتمع بأسره، لتظل نورا يهتدي به السالكون، ومنارة علم وإيمان تنير دروب الأجيال القادمة، فتبنى بها الأمم، ويحفظ بها الدين، ويستقيم بها ميزان الحق والخير.

فطوبى لهم هذا الفضل العظيم، فهم ورثة النبوة، وحراس العقيدة، وبهم تحفظ المجتمعات هويتها، ويستقيم ميزان الحق والخير.

الهوامش

١- wikikuwait.com
٢- quranawqaf.gov.kw
٣- e.gov.kw
٤- أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٩، ص:١٢٢.

محمود شاكر محمود
اختصاصي إعلامي

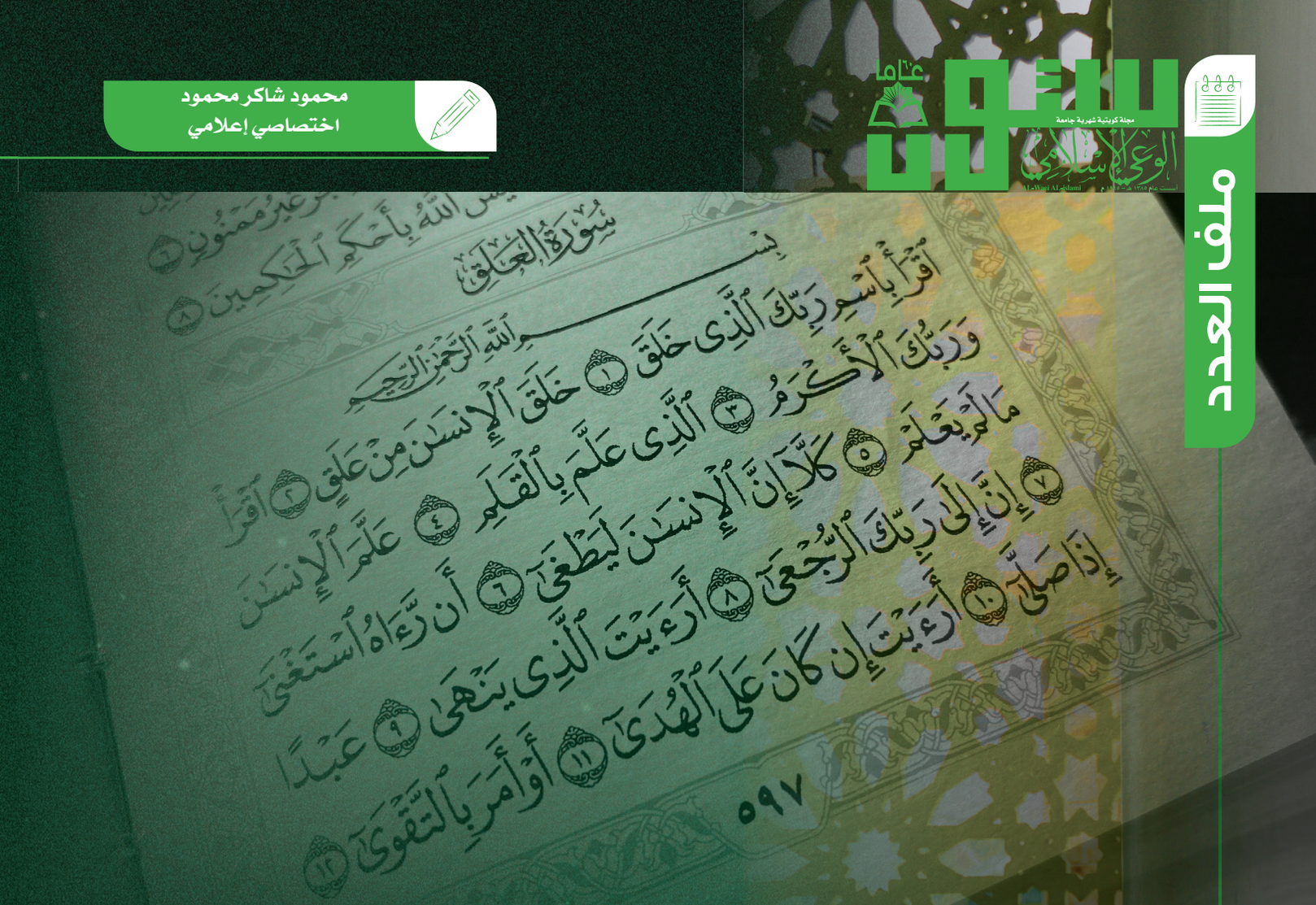

القرآن الكريم بين تهذيب الإنسان وتنقية روحه

القرآن الكريم هو كتاب هداية ورحمة للبشرية جمعاء، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب ليكون منهجا كاملا ينظم حياة الإنسان في جميع جوانبها. ولعل واحدا من أهم ما يمدنا القرآن به هو تهذيب النفس وتوجيهها نحو الخير والصلاح بين الإنسان ونفسه ومع الآخرين. فنحن الآن نعيش في عصر لا يخلو من السرعة والكثير من الانشغالات والأمور الحياتية السريعة التي باتت سببًا في خلق الكثير من الأمراض العصرية مثل التوتر وغيره مما يؤثر على سلوك الإنسان وتعاطيه مع الآخرين.

فعندما نرى في كتاب الله الكريم نجد الكثير من الآيات الكريمة التي تضع لنا أسسًا تربوية وأخلاقية تساعد الفرد على تحسين سلوكه، وتقوية إرادته، وتطهير قلبه من كل ما يعكر صفو روحه. فالقرآن الكريم يحث الإنسان على تقوى الله ومراقبته في كل الأوقات، وهو ما يساعد في تهذيب النفس وتهذيب السلوك الداخلي. هذه التقوى تجعل الإنسان أكثر انضباطًا في تصرفاته، وتحثه على الابتعاد عن المعاصي، مما يعين على تهذيب القلب والروح. يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

ولأننا نعيش في عصر يشكل الوقت فيه عصبًا أساسيًا وسلاحًا ذا حدين، فقد تمر أحيانًا على الإنسان لحظات يفقد فيها صبره ويتعاظم فيها الكمد، ولهذا نجد أن من أعظم القيم التي يربي عليها القرآن الكريم هي قيمة الصبر، وهي من الصفات التي تساهم في تهذيب النفس وتزكيتها. فالقرآن الكريم يدعو الإنسان للصبر في وجه المصاعب والابتلاءات، ويركز على أن الصبر يقوي النفس ويزيد من قدرتها على تحمل الصعوبات.

في الآية الكريمة من سورة آل عمران يقول عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠) فبعد الصبر والتوكل على الله يأتي الفرج، لأن الصبر هو منهج الأنبياء والرسل الذين صبروا وجاهدوا من أجل الحق والتمسك بالحلم.

كما أن هناك معضلة كبيرة تمر بها المجتمعات الحالية، البعض قد يصيبه نوع من الغل تجاه أخيه أو صديق أو حتى غريب عابر، الطمع الذي يجعل من الإنسان حسودًا يتمنى ما في يد غيره، وهنا نجد أن القرآن الكريم يخاطب الإنسان بلغة التهذيب من قوله تعالى ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ (إبراهيم:٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠).

فالتمسك بما جاء بالقرآن والتدبر في فهم الآيات والدروس والعبر ما هو إلا تلقين للنفس، لتهذيبها لتكون كما يجب أن يكون عليه الإنسان المؤمن. فالقرآن الكريم يربي النفس على التواضع والابتعاد عن الكبر، ويحث المسلم على أن يتعامل مع الآخرين بلطف واحترام، والإيمان والعمل بالنية الطيبة والخالصة لله هي أحد الأسس، وعمل يقوم به الإنسان يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، وهذا يساعد في تنقية النفس من الرياء.

وفي الختام نقول إن القرآن الكريم هو الطريق الأمثل لتزكية النفس وتهذيبها، هو ما يرسم للإنسان طريق الصواب والخير، فالخير كله في الإنسان الخير الذي تدبر وتعلم وعرف معنى أن يهذب الإنسان نفسه وهذا هو جهاد عظيم، فيكون خير من يمثل دينه وخير من يعمل به، ويجعل من القرآن منهاجًا يطبقه مع نفسه وفي حياته ببيته ومع أسرته والآخرين، وبه نتعلم كيف نعيش حياة مليئة بالتقوى والصبر والتواضع والإحسان.

د. السنوسي محمد السنوسي
دكتوراه في الدراسات الإسلامية

مراكز للنور والهداية

حلقات القرآن الكريم المنتشرة بطول بلادنا العربية والإسلامية، هي أحد مراكز الإشعاع التي تنعكس على حياتنا نورا وهداية وتحصينا؛ لاسيما أنها تتصل بأمرين على قدر عظيم من الأهمية.

الأول: أنها تتصل بالقرآن الكريم؛ وهو الكتاب الذي يمثل مركزية ومحورية لهذه الأمة، وأسس لها وجودا وحضارة وامتدادا.

الثاني: أنها تتصل بالأجيال الناشئة، من الأطفال والشباب؛ وهم عدة المستقبل وطاقته الحيوية.

فإذا اجتمع لهذه الحلقات تميز المنهج ومركزيته، وطاقة المتلقي وحيويته؛ فإننا نكون بإزاء عملية تفاعلية تؤسس للمستقبل، وتنشئ ما لا يمكن حصره من الآثار النفسية والتربوية والعلمية والمجتمعية، مما نحن في أمس الحاجة إليه، اليوم وغدا.

والقرآن الكريم كتاب الله تعالى، أنزله نورا ينير طريق عباده، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور؛ قال تعالى:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ﴾ (إبراهيم:١).

أي: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى؛ بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم. إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه وشرعه لخلقه[1].

كما أنه كتاب يهدي الناس لخير الطرق وأقومها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٩).

جاء في تفسير ابن كثير: «يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن، بأنه

يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على مقتضاه ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي: يوم القيامة»[٢].

فالقرآن الكريم ليس كتابا نقرأه نلتمس فيه البركة والثواب فحسب، ولا السكينة والطمأنينة وحدهما؛ وإنما هو أيضا كتاب هداية وتوجيه وتشريع؛ جاء لينير لنا الحياة بمختلف دروبها، وليوجه لنا خطواتنا في مختلف مساراتها؛ الفردية والأسرية والمجتمعية، الفكرية والاقتصادية والسياسية والقانونية.

ففي هذه الوجوه المتعددة من الحياة نرى بيان القرآن شافيا، وتوجيهاته ضابطة، وتشريعاته هي القول الفصل؛ سواء أكان هذا البيان القرآني عن طريق التفصيل والتوضيح، أو عن طريق وضع قواعد عامة وأسس حاكمة. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩). فالقرآن الكريم قد «اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[٣].

إذن، هذه هي أهمية القرآن الكريم في حياتنا، إذ لا نتصور أن تمضي الحياة بعيدة عن هدي القرآن والاستضاءة بأنواره؛ وإلا كان الشقاء والتخبط والضلال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه:١٢٤).

مراكز للنور

القرآن الكريم كتاب للحياة، يوجهها ويضيء جنباتها، ويأخذ بزمامها لما فيه الخير في الدنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة:١٥-١٦).

فالقرآن الكريم نور للنفس والعقل والجوارح، وللإنسان في دنياه وآخرته؛ ولهذا فحلقات القرآن الكريم هي أيضا منبع للنور؛ إذ هي تحتضن كتاب الله تعالى، وتمكن لهذا الكتاب من النفوس والعقول، ومن الحياة والأحياء.

وإذا كانت الوظائف أو العلوم تتفاوت شرفا وقدرا بما تتصل به وتهدف إليه، فإن حلقات القرآن لهي من أشرف المجالس والوظائف، ومن أجل وأرفع ما يمكن أن نربي عليه النشء؛ فهي تتصل بالقرآن الكريم، وتهدف إلى أن يكون هذا الكتاب العزيز محورا ومرتكزا للإنسان والحياة. بجانب ذلك، فالقرآن الكريم هو خير ما نملأ به نفوس أطفالنا وشبابنا، خصوصا في هذه السن المبكرة التي يكون فيها الحفظ يسيرا، وقدرة الذاكرة على الاستيعاب أكبر؛ ثم تأتي مرحلة لاحقة للفهم والتدبر.

حصانة للأجيال

وإذا كان من المهم أن نعمل على تحصين الأجيال الناشئة من الأطفال والشباب، وأن نكسبهم من القيم والمعارف ما يحفظهم ويصقل شخصيتهم؛ فإن القرآن الكريم هو خير ما يمنحنا ذلك؛ سواء على مستوى الشعور النفسي، أو الإدراك العقلي، أو السمو الروحي والأخلاقي.

ولهذا جرت العادة في حضارتنا أن يكون القرآن الكريم هو أول ما يعطى للمتعلم، مع المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، ثم يكون التوسع في العلوم والمعارف تدريجيا، سواء في

العلم الواحد، أو في تقديم بعض العلوم على بعض.

وقد ورد عن ابن عباس وجابر بن عبدالله ما يفيد بأن تعليم القرآن كان أصلا راسخا بحيث يقاس عليه تعليم ما سواه؛ مثل التشهد والاستخارة.

فعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن» (رواه مسلم). وعن جابر بن عبدالله قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن» (رواه البخاري).

فهنا نرى إخبار صاحبيين جليلين بأن الرسول ﷺ علم الصحابة التشهد والاستخارة، كما كان ﷺ يعلمهم السورة من القرآن. وهذه إشارة مهمة إلى أولية القرآن ومركزيته فيما يتصل بتعليم النشء وتربيته.

فإذا ترسخت في نفوس النشء معاني القرآن الكريم ومفاهيمه وتوجيهاته، ولو بصورة عامة كلية وأولية، فإن ذلك يعد حصانة قوية لهم فيما سيواجههم لاحقا من قيم وأفكار؛ فيقدرون على الثبات في مواجهة التحديات، ويكتسبون مهارة الفحص والفرز؛ بحثا عن الحكمة النافعة، واتقاء للباطل والفاسد.

إذن، تعليم القرآن الكريم للناشئة يؤسس لفكرة وضرورة العمل على تحصينهم. وليس أقدر على منحنا ذلك من القرآن الكريم؛ ففيه الدواء النافع، والهداية التامة، والطريق الأقوم. ولعلنا نلاحظ أن من يتربون على مائدة القرآن، في سن مبكرة، يكونون أكثر تحصينا عندما يدخلون معترك الحياة بما فيه من أفكار وفلسفات يختلط كثير باطلها بقليل من الصواب؛ إذ هم قد اكتسبوا ومنذ الصغر مناعة باقية المفعول ممتدة الأثر.

جاء في «الإحياء»: «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها. والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة؛ وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

﴿أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم:٦). ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق... فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه، خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة؛ وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين»[٤].

فالأولاد أمانة عند آبائهم، وعليهم أن يحسنوا تربيتهم، وأن يزودوهم بما يعينهم في رحلة الحياة. ومن المؤكد أن القرآن الكريم هو خير رفيق في هذه الرحلة، وخير معين على مشقاتها.

هداية للمجتمع

ولا تقتصر فوائد حلقات القرآن الكريم على الدارسين فيها، وإنما يمتد نورها إلى المجتمع بأسره؛ كل يأخذ بنصيب من هذا النور المتدفق منها.

فالأسرة يصيبها نور وبركة بسبب أبنائها الملتحقين بهذه المراكز، وبتأثير متابعتها لهم؛ ذهابا وإيابا وحفظا؛ فتظل الأسرة مشغولة بالقرآن الكريم، متنعمة في رحابه.

والمجتمع عامة يتنعم بهذا النور، بما يوجد فيه من ناشئة متأدبة بأدب القرآن، ومهتدية بهديه وسمته. ومع ازدياد أعداد الملتحقين بهذه الحلقات، والمتخرجين فيها؛ يعم الخير أرجاء المجتمع وينتشر النور في جنباته. وبهذا تكون حلقات القرآن الكريم خيرا وبركة للمجتمع كله. وبالتالي، على المجتمع أن يدعم هذه الحلقات، ويوفر لها ما يلزم لاستبقاء عملها وتوسيع نشاطها؛ وإذا كان «الدال على الخير كفاعله»[٥]، فإن المعين على الخير والمحفز على استمراره والميسر أسباب بقائه؛ له نصيب كبير من الأجر.

من واجباتنا

إذن، حلقات القرآن الكريم خير وبركة للمجتمع كله، ونور وهداية للفرد والأسرة؛ ومن ثم، فعلينا واجب ومسؤولية تجاه هذه الحلقات؛ بما يتصل بدعمها وتطوير العمل فيها. ومما يمكن أن يسهم في هذا الجانب، ما يلي:

- دعمها وتيسير أسباب البقاء والانتشار لها.
- تحفيز أبنائنا على الالتحاق بها.
- رصد مكافآت وهدايا لمن يتفوقون بها، ويتخرجون فيها.
- تطوير طرق التعليم فيها؛ بما يجعلها محببة للأطفال وجذابة لهم.
- إضافة جوانب تعليمية مع منهج القرآن فيها، وبما يناسب مرحلة الطفولة، ويتدرج مع عمر الشباب؛ مثل معاني الكلمات، والمعنى الإجمالي للسورة، وبعض الأحاديث النبوية، وشرح مبسط لسيرة النبي ﷺ.
- إضافة جوانب ترفيهية تمثل تحفيزا وتشجيعا لطلاب الحلقات.

إن مجتمعاتنا ممتلئة بجوانب الخير، وفي القلب منها حلقات القرآن؛ التي هي خير ما نورثه لأبنائنا، ونربيهم بها، ونحصنهم من خلال ما ينهلون فيها من بركة القرآن الكريم وأنواره وهداياته.

الهوامش

١- تفسير الطبري، ٥٨٨/١٣، بتصرف يسير.
٢- تفسير ابن كثير، ٤٨/٥.
٣- المصدر نفسه، ٥٩٤/٤.
٤- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ٧٢/٣-٧٣.
٥- أخرجه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wasi AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما

محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص وناقد

تحفيظ القرآن إلكترونيا

جاء سيدنا محمد ﷺ بمصباح هداية الكون وإضاءة جنباته؛ فبعث الرسول العظيم بـ «القرآن الكريم» الذي أحيا الله تعالى به أمة العرب من موات، بعد أن فرقتهم لقرون طويلة مصالح الدنيا والبحث عن منافع ذاتية قليلة ووقتية زائلة، فعلمهم كتاب الله وهدي رسوله قيادة العالم وإضاءة مصابيح حضارة عدل ومساواة وطمأنينة يصعب أن ينساها الوجود كله؛ فعل القرآن الكريم كل هذا في نفوس عرب شهدوا الوحي وإضاءة دروب أنفسهم بفضل الله ورحمته اللذين آلانا نفوسهم، وهذبا أرواحهم، وأظهرا الأروع فيهم وطرحا غيره في فترة قليلة مقارنة بعمر الزمان، وفي هذا يقول رب العزة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١)، فكيف وقد أنزل الله كتابه في بشر لا جبال؟ ولذلك وحتى يرث الله الأرض ومن عليها سيظل كتابه هاديا ومبشرا ومنير الدروب لراغبي الهداية ونعيم الدارين من العالمين، ويقول المصطفى ﷺ في هذا: عن سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ» (الموطأ)؛ ومن هنا جاء فضل تعليم كتاب الله نطقا وأحكاما وتدبرا وعملا؛ فيقول حبيبنا المصطفى ﷺ في هذا: عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

الإنترنت وكتاب الله

هذب القرآن الكريم نفوس الأجداد وكثيرا من الآباء خاصة المسنين، تفتح وعيهم على الحياة فألحقهم آباؤهم بالكُتَّاب القريب الذي يكاد كل حي أن يتشرف به على امتداد كثير من أوطاننا العربية، فنشأوا عالمين بمبادئ دينهم، متفهمين بقدر لمعاني كتاب الله، مزودين بحسن النطق، وجميل المخارج، مع الوعي والقدرة على الإقناع، لكن الكتاتيب تراجع دورها مع مستجدات الحياة والتطور التكنولوجي، لكن لله أقدارا يشاء فيها أن يعيد كثيرا من عباده لطريق التزود من

عبادته، فكان منها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ومواقع التواصل الاجتماعي، فبدأ البعض عبر الاتصال الميسر من خلالهما في محاولة تعليم تلاوة آي الذكر الحكيم وأحيانا شرح معانيه وأحكامه، ولكن مع مجيء فيروس كورونا خلال السنوات القليلة الماضية وما أدى إليه من تقليل أو منع لخروج ملايين المسلمين من بيوتهم لفترات، شاء المولى وفكر بعض الصالحين في تفعيل أكثر لجلسات تعليم قراءة وأحكام كتاب الله لكل من الرجال والنساء، لكن كل على حدة؛ فكان الأمر بركة وخيرا وفتحا لأبواب خير ونفع لا حدود لهما، وأذن الله له بالدوام فلا يزال مستمرا، وسيظل بإذنه تعالى، حتى إن حلقات التلاوة والتدبر وغرفها على موقع واحد لا تكاد تنتهي على مدار اليوم والليلة، تخدم أبناء العربية أينما كانوا من المعمورة، فبينما بعضهم نيام يكون الوقت نهارا لدى آخرين فيتلون ويتعلمون، وهكذا فالنقيض بالنقيض.

ويبدع القائمون على الأمر في توزيع الأدوار من مشرفين يتلقون الأسماء قبل بداية كل حلقة، ويجهزونها للمعلم أو المعلمة، ويتم تحديد مدة القراءة وزمن الجلسة إجمالا ومقدار قراءة كل مشارك، ويدخل المعلمون والمعلمات وفق جدول محدد للقيام بأدوارهم، ولا تنتهي حتى حلقة التلاوة دون تدبر وشرح لما غمض على المشاركين، ومع مرور الأشهر يترقى البعض من طلاب وطالبات لإحسان القراءة أيا ما يكون عمرهم، فيبلغون درجة المجيدين، ثم يبدأون بتعليم آخرين، وتتسع الدوائر لتشمل أبناءنا الصغار وطلاب المراحل المختلفة مع فصل تام للجنسين، فيزداد الخير والبركة في البيوت، ويتأثر حتى غير المشاركين من الأسر بتدفق القرآن الكريم وجميل ألفاظه ومعانيه.

بركات جلسات القرآن الكريم الإلكترونية

لا تتطلب هذه الجلسات المباركة تكلفا من مغادرة للمنزل، وتجهز للخروج، وذهاب للحلقات الخاصة بها في مكان قريب أو بعيد، فهي ميسورة، تبدأ بمجرد الضغط على أزرار والحديث بالهاتف، وفيما يمتد أثرها في النفوس والبيوت لا تحتاج الجلسات لرحلة عودة للمنزل، أو غياب عنه من الأساس، لذا تتوزع بركاتها على بيوت المسلمين فتضيئها وتنشر السكينة والطمأنينة، وصدق عز من قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

تعطي الحلقات الإلكترونية للقراءة قدوة عملية للصبيان والفتيان والشباب عموما في بيوتنا، فمع نصائحنا المستمرة لهم بجعل جزء من يومهم لكتاب الله يتطور الأمر لرؤيتنا عاكفين عليه، نتواصل مع الآخرين حوله قبيل الفجر، أو بعيد العصر، أو بين المغرب والعشاء، نفعل هذا ونحن مهتمون بكل حرف وحركة وحكم شرعي، فيتشربون الأمر في أنفسهم، ويدركون قيمته فعلا بعد قول.

تهذب قراءة القرآن الكريم في بيوتنا من أخلاقنا جميعا، تذكرنا برائق هديه تعالى، وجميل بيان الرسول العظيم له، فلا تكاد أنفسنا تأخذنا لشواطئ النسيان البعيدة، فتتهذب أخلاقنا، وتهدأ انفعالاتنا، ونستحضر عبوديتنا لله آناء الليل وأطراف النهار، مما يؤثر في أفعالنا ويهذب منها.

تصحبنا الآيات المباركات ومعانيها لأوقات تظللها السكينة والمثوبة، نبتعد عما يشغل ولا يقرب من الله، ونبحر أكثر في مرضاته، فلا تجد التفاهات أبوابا لدينا، وحين يتعلم أحدنا كتاب الله يثاب أيما مثوبة، فعن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه فله أجران» (رواه البخاري ومسلم).

يختم أحد أفراد الأسرة كتاب الله تعالى فتحل السعادة به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيقال له: اقرأ وارق، وتزاد بكل آية حسنة» (رواه الترمذي)، ولا يحرم أهل البيت من هذه البركة.

عودة أثيرة

من المسلم به أن أمتنا لن ترتقي وترتفع إلا حينما تتمسك بكتاب الله كما تمسك به الصحابة الكرام والتابعون الأفاضل، وأول ما يجب أن تتمسك أمتنا به كتاب الله تعالى، وحينما نعود لأبواب الله وكتابه المطهر وتزدهر قراءتنا وعلاقتنا به؛ وبالتالي السنة المشرفة، يغير الله أحوالنا للأفضل مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد:١١).

سؤون عامة
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami

د. علاء محمد عبدالغني
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

تعليم القرآن منذ فجر الإسلام

القرآن الكريم محفوظ بأمر من الله قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، فقد جعل الله عز وجل الأجر العظيم لحفظه وتلاوته، حيث اهتم بذلك الرسول ﷺ، ولذا فقد منع كتابة أي شيء حتى الحديث الشريف لكي لا يختلط القرآن بالسنة، فقد كان الرسول ﷺ يشجع الصحابة على تلاوة القرآن وحفظه منهم أبو موسى الأشعري، فكانت بداية ظهور حلقات القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ، فكانت أول حلقة قرآنية ظهرت في منطقة رحبة من الأرض بين الأمينين: أمين أهل السماء جبريل، وأمين أهل الأرض محمد ﷺ، وذلك حين بزغ «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيعبد الله عز وجل فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، رضي الله عنها، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ (العلق:١-٣)، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده «لتبقى بعد ذلك كلمة اقرأ أول كلمة افتتح بها ذلك اللقاء المبارك بين الأمينين، وغار حراء أول الأمكنة التي تشرف بذلك اللقاء، وما إن انفضت تلك الحلقة بين الأمينين إلا وانعقدت بعدها مباشرة حلقة أخرى بل حلقات بين النبي ﷺ وأصحابه يأخذون فيها دور الإنصات للوحي، ويأخذ ﷺ دور التلقين لما نزل إليه من الله سبحانه، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم من أول الأماكن التي تشرفت بهذا الفضل»[1]، ثم تعددت

أماكن اللقاء بعد ذلك خلال مدة نزول الوحي، وتنوعت أزمنته وأشكاله؛ لتنتقل هذه الحلقات القرآنية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقد كان انتشار هذا النور فيها أوسع، فأهلها هم الأنصار الذين فتحوا قلوبهم للذكر والتنزيل، وأسلموا أرواحهم فداء له[٢].

فقد كان أول من قام بهذه المهمة العظيمة مصعب بن عمير الذي أرسله الرسول ﷺ إلى المدينة ليعقد بها حلقات القرآن الكريم ويعلم الناس بها قبل قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة، حيث سمي عند أهلها بالمقرئ[٣].

وانتشرت هذه الحلقات بعد هجرة الرسول ﷺ، حيث تولى بنفسه مهمة الإقراء والتعليم لكتاب الله، فقد روى أنس بن مالك قال: «أقبل أبو طلحة يوما فإذا النبي ﷺ قائم يقرئ أصحاب الصفة، على بطنه فصيل من حجر؛ يقيم به صلبه من الجوع»[٤].

وكانت حلقات القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ تعقد في المسجد النبوي الشريف، وكان الرسول ﷺ يشرف عليها بنفسه ويفتتحها، كما كان يختار أفضل وأمهر الصحابة في تلاوة القرآن وحفظه لكي تكون التلاوة على أفضل وجه، والدليل على ذلك قول عبادة بن الصامت: «كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إلي رسول الله ﷺ رجلا، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن»[٥]، وقد افتتح حلقة للقرآن الكريم بين أهل الصفة في مسجد النبي ﷺ، وقال في ذلك: « علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن»[٦].

والدليل على انتشار الحلقات إرسال النبي ﷺ سبعين من الصحابة كانوا يسمون بالقراء إلى خارج المدينة لنشر القرآن وتعليمه، فغدر الكفار بهم وقتلوهم ببئر «معونة»، فقنت النبي ﷺ شهرا يدعو على من قتلهم، ثم تركهم.

ولما توفي النبي ﷺ كان الصحابة متفاوتين في حفظهم للقرآن، وفي عهد الصحابة، رضي الله عنهم، اتسعت حلقات تحفيظ القرآن الكريم بسبب اتساع الفتوح، وازدياد المسلمين، وكانت هذه الحلقات مختصة في إقراء القرآن وحفظه، وهي امتداد لإقراء النبي ﷺ لأصحابه، رضي الله عنهم، وتحفيظهم كلام الله تعالى، ولإرساله القراء مع الوفود التي أسلمت لتعليمها القرآن[٧]، حيث كانت تلك الحلقات التي ظهرت في عهد الصحابة تكملة لما كان في عهد النبي، فقد استمر عبدالله بن مسعود في إقراء الناس القرآن بعد وفاة النبي ثنتين وعشرين سنة، وهو الذي أسس مدارس التحفيظ في الكوفة، ومنها انتشر إقراء القرآن في العراق وخراسان وما وراءها على أيدي طلابه الحفظة من التابعين[٨]، ولما ولاه عمر ثم عثمان، رضي الله عنهما، إمرة البصرة أسس فيها حلقات تحفيظ القرآن، وكان يقرئ الناس بنفسه فانتشر حفظ القرآن الكريم في البصرة بجهوده المستمرة[٩]، ولما انتقل إلى الشام نقل ما كان يقوم به فانتشرت حلقات القرآن في الشام، وظل على ذلك إلى أن توفي[١٠]؛ ولما انتشر الإسلام في بلاد الشام زاد عدد حلقات القرآن الكريم فحضر إلى بلاد الشام أبو الدرداء وعبادة ومعاذ لإقراء الناس، فكان أبو الدرداء في دمشق، وعبادة في حمص، ومعاذ في فلسطين، وأسس أبو الدرداء حلقات التحفيظ في دمشق، وكان بارعا في إدارتها وتنظيمها، وبسبب ذلك خرجت حلقاته عددا كبيرا وقد أثنى الكثير من العلماء على تلك الحلقات واستمر في إقراء الناس أكثر من عشرين سنة حتى توفي، وأصبحت هذه الحلقات العظيمة مستمرة إلى يومنا هذا وانقطع للتحفيظ فيها أمهر الحفاظ، وكان منهاج هؤلاء في هذا العمل العظيم قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢١٥)، لكن أعداء الإسلام يقفون دائما موقفا معاديا لحلقات القرآن الكريم، لأنهم على علم تام أن تلك الحلقات تزيد من تمسك المسلمين بدينهم، فآياته حين تقرع أسماعهم تسري في قلوبهم الحمية الدينية، وتبعث همتهم للدفاع عن الإسلام ورد العدوان عنه[١١].

الهوامش

١- البخاري، ١٧٣/٦، ح:٤٩٥٣؛ مسلم، ١٣٩/١، ح:١٦٠.

٢- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٧٣/٥.

٣- صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١٢١/١.

٤- الطبراني: المعجم، رقم:٢٠٦٩٣.

٥- مسند الإمام أحمد، رقم:٢٢٨١٨.

٦- سنن أبي داود، رقم:٣٤١٨.

٧- فيصل سيد طه، تاريخ الحضارة الإسلامية، ميروهلب، ٢٠٢١ م، ص:٥٠.

٨- الطبقات، ١١٤/٣.

٩- الطبقات، ١١٥/٣.

١٠- الطبقات، ١٦/٦.

١١- محمد صالح أيوب، مكانة تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر، مجلة رابطة العالم الإسلامي، ع:٤٦٦، فبراير، ٢٠٠٥، ص:٤١-٤٨.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

آداب معلمي القرآن

ظهرت عناية المسلمين بالقرآن الكريم قراءة وحفظا وتدبرا وعملا وتحلقا حوله منذ نزوله وأخبرنا رسول الله ﷺ عن مكانة معلم القرآن ومتعلمه فقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأقرأ أبو عبدالرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[1]. هذا الوعد الكريم من النبي ﷺ هو الذي جعل أبا عبدالرحمن السلمي «يقرئ الناس في المسجد الأعظم (بالكوفة) أربعين سنة»[2].

وخلال هذه السطور نشير إلى بعض الآداب التي ينبغي على معلمي القرآن الكريم في المدارس والجامعات وحلقات التحفيظ في المساجد والمراكز أن يتحلوا بها، فما أشد حاجتنا إلى الإنسان الذي يتخلق بأخلاق الإسلام، وإحدى الوسائل لذلك أن يتخلق المعلمون بأخلاق القرآن فهم محط أنظار أبنائنا ومواضع القدوة عندهم، ومن هذه الأخلاق الإخلاص، فقد يبتلى بعض المعلمين بفقدان الإخلاص وهم يشعرون أو لا يشعرون عندما يكون همهم فقط كثرة القارئين عليهم والآخذين عنهم، وعلامة ذلك غضبهم عندما ينفض الطلاب عنهم ليذهبوا إلى معلم آخر.

يقول الإمام النووي: وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه والمختلفين إليه، وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم، فإنه لو أراد الله بتعليمه

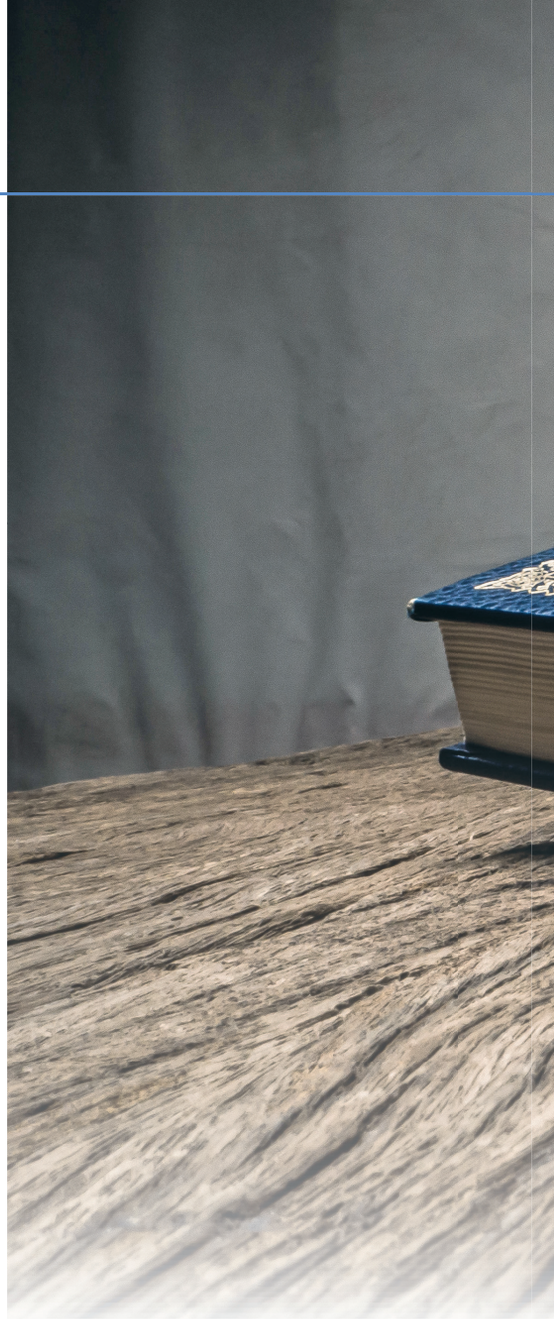

لما كره ذلك بل قال لنفسه: أنا أردت الطاعة بتعليمه وقد حصلت وقد قصد بقراءته على غيري زيادة علم فلا عتب عليه. وقد صح عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم -يعني علمه وكتبه- على أن لا ينسب إلي حرف منه[٣].

ومن الإخلاص ألا يعلق إجازة طلابه الذين أتموا القراءة عليه إلى أن يحصل منهم على غرض من أغراض الدنيا (فلا يجوز له تأخير الإجازة بالإقراء في نظير مال ونحوه عن كل من استحقها، إذ الإجازة ليست مما يقابل بالمال)[٤].

ومن جملة واجباته الاعتناء بالطلاب وأن يكون تعليمه لطلابه أهم المهمات عنده فيقدمه على ما ليس بضروري من أمور الحياة، ويخصص معظم وقته لتعليم القرآن، ويستبقي من وقته ما يكفي لما لا بد منه، ولا يستطيع أحد أن يكفيه مؤنة القيام بذلك، ولن تطاوعه نفسه على ذلك إلا إذا اعتقد أن التعليم ذخر يدخره الله تعالى له.

ومما يعينه على حسن العناية بطلابه:

أن يكون فارغ الذهن من أمور الحياة، يقبل على طلابه وليس في ذهنه إلا تعليمهم كتاب الله، وهذا يؤدي إلى سعة صدره واعتنائه بالطلاب، وهذا باب من أبواب الأجر العظيم لما فيه من إسهام في حفظ القرآن الكريم، وقد تنبه له أهل الخير فأنشأوا وقفيات وكفالات للإنفاق على معلمي القرآن الكريم.

وأن يخصص لكل طالب القدر الذي يتمكن من حفظه دون زيادة أو نقصان حتى لا يعجز الضعيف ولا يتأخر القوي في الحفظ، ويبدأ بمن حضر أولا من الطلاب حتى لا يكسر خاطرهم، وعليه أن يساوي بين طلابه فيعطيهم فرصا متكافئة في التلقين والعرض ولا يزيد أحدهم على الآخر في الوقت المخصص لعموم الطلاب.

وأن يثيب المتقن منهم وذلك بالثناء عليه إذا لم يفتر، وإذا وجد أحد طلابه النجباء دعا له بالتوفيق، ويشعر المعلم من قصر من طلابه بالخطأ دون أن يغالي في ذلك حتى لا ينفر المتعلم ويترك تعلمه للقرآن، وإذا لم يجد الطالب زجرا تحركت نفسه للهو واللعب وأضاع وقته دون أن يحصل على فائدة، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، لكن هذا الزجر ينبغي أن يكون له هدف وحد؛ أما هدفه فهو توفير الجو المناسب لكي يحفظ الطالب وزملاؤه القرآن، وأما الحد فهو الذي لا تتحطم معه نفسية الطالب أو يكره معه العلم والمعلم.

وينبه طلابه إلى أن الإثابة على حفظ القرآن الكريم هي من الله تعالى أولا ثم من المعلم تقديرا لجهود الطالب ثم من القائمين على مشروع تحفيظ القرآن الكريم بما يقدمونه من جوائز تقديرية وتشجيعية تحفز قارئ القرآن وتدعو غيره إلى أن ينضم إلى أهل القرآن الكريم الذين هم أهل الله وخاصته، قال أبو عبيد: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد بن إبراهيم، «أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله: أن أعط الناس على تعلم القرآن، فكتب إليه: إنك كتبت إلي: أن أعط الناس على تعلم القرآن، فتعلمه من ليست له فيه رغبة إلا رغبة الجعل (ما جعله أمير المؤمنين من مكافأة على تعلم القرآن)، فكتب إليه: أن أعط الناس على المروءة

والصحابة»[٥] أي مصاحبة القرآن، وهذا القول من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يمثل جانبا من اعتناء الدولة بأهل القرآن الكريم معلمين ومتعلمين وهو في الوقت نفسه حافز على حفظ القرآن.

الرفق بالمتعلم

وينبغي لمن قرئ عليه القرآن، فأخطأ فيه القارئ، أو غلط؛ أن لا يعنفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، ويصبر عليه، فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحري أن لا يعود إلى المسجد قال ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»[٦]،[٧] فالنبي ﷺ يطلب التيسير لينشط الناس في العمل الصالح ويطلب من المسلم أن يفعل ما يؤدي إلى الطمأنينة التي تتيح -في مجال التعليم- فرصة أفضل للحفظ والفهم.

وعلى المعلم الناصح لطلابه أن يعاملهم بما يصلحهم وأن يضع الرفق في موضعه والشدة في موضعها، وقد تكون الشدة بعبوس الوجه أو بالكلام الذي يحمل لوما وعتابا وتقريعا، فكل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده، فالقسوة المفرطة قد تدفع الطلاب إلى التمرد على المعلم وعدم استجابتهم له، والحكمة وضع الشيء في موضعه فيكون بينه وبين طلابه شعرة، فهو معهم يؤنسهم على ألا يجرئهم عليه لكنه فوقهم بوقاره وهيبته ورفقه.

تزكية المتعلم

وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية ورياضة نفسه بالدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الباطنة والجلية ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويعرفه أن لذلك تتفتح عليه أنوار المعارف وينشرح صدره ويتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف ويبارك له في علمه وحاله ويوفق في أفعاله وأقواله[٨].

آداب جلسة المعلم

ومن آدابه المتأكدة وما يعتنى به: أن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث، وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة، ويقعد على طهارة مستقبلا القبلة ويجلس بوقار، وتكون ثيابه بيضاء نظيفة، وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين قبل الجلوس سواء كان الموضع مسجدا أو غيره فإن كان مسجدا كان آكد فيه فإنه يكره الجلوس فيه قبل أن يصلي ركعتين، وأن يجلس متربعا إن شاء أو غير متربع. روى أبو بكر بن أبي داود السجستاني بإسناده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان

يقرئ الناس في المسجد جاثيا على ركبتيه[٩]، والالتزام بهذه الآداب يدفع الطلاب إلى تقدير معلمهم وتوقيره.

كل ما سبق من أخلاق حسنة يمكن أن تنتقل إلى المتعلمين وأهليهم بصدق المعلمين وإخلاصهم وحرصهم على أن يبقى الخير موصولا في أمة محمد ﷺ وأن تستنير الحياة بالقرآن حروفا ومعاني وقيما، ويعد اختيار المعلم المتحلي بآداب حملة القرآن الكريم من أهم ركائز حفظ القرآن الكريم، ثم تأتي المشاريع التي تنظم عملية الحفظ وتضمن الجودة والاستدامة، وقد كان لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت خدمات مميزة لكتاب الله تعالى من جهات عدة نخص منها -حسب ما تقتضيه طبيعة المقال- العناية بتحفيظ القرآن الكريم من خلال هيكل إداري وفني، ومن خلال عدة مراكز تتنوع في خدماتها وتتعدد الفئات المستهدفة بخدماتها ما بين الرجال والنساء والكبار والصغار والناطقين بالعربية وغيرهم، وتتحد في هدفها، وتكفي الإشارة إلى بعض هذه الجهود من خلال العناية بالطلبة الذين يعانون من عسر في القراءة، أو صعوبة في القراءة، أو صعوبة التعلم الخاصة للأطفال من أعمار أربع سنوات وحتى ثماني سنوات وتعرف باسم (الدسلكسيا Dyslaxia)- فكلفت الإدارة قسم الإسناد الفني بالبحث عن منهج متكامل يعالج تلك العقبة التي يعاني منها أبناؤنا، فوجدت الإدارة مبتغاها في الجزء الأول من سلسلة (اقرأ وارتق) وهذا جزء مما تقوم به مراكز القارئ الصغير.

كما تتم العناية بالقرآن الكريم من خلال مراكز الشاطبي والتي جعلت رسالتها (تحقيق الريادة في تخريج حفاظ لكتاب الله تعالى ليكونوا رموزا قرآنية وأئمة وقراء من فئة الناشئة والشباب والراشدين من خلال اتباع أفضل طرق التحفيظ والاستعانة بأكفأ المحفظين). وهذا بالإضافة إلى مركز حفص ومراكز الإمام ابن الجزري الذي (يتخرج الطالب منه بعد أن يدرس أحكام التجويد وآداب التلاوة وتاريخ المصحف وعلوم القرآن، والأسانيد القرآنية وعلم الصوتيات وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم إضافة إلى قراءة القرآن كاملا عن ظهر قلب بالسند المتصل مع حسن الأداء وإتقان الحفظ وضبط الأحكام).

هذا بالإضافة إلى الحلقات القرآنية المقامة بالمساجد والتابعة لوزارة الشؤون الإسلامية وجمعيات النفع العام والمسابقات التي تمنح جوائزها من خلال وزارة الشؤون الإسلامية أو المحسنين من أهل الخير، إن العناية بالقرآن الكريم باب من أبواب الشرف والرفعة وسبب لحفظ البلاد والعباد.

الهوامش

١- صحيح البخاري.
٢- «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٦٨).
٣- التبيان ص ٣٥.
٤- «فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن» للشيخ علي محمد الضباع ضمن كتاب الإمتاع بجمع مؤلفات الضباع، ص٢٩، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.
٥- الأموال أبوعبيد ص٣٣٣.
٦- صحيح البخاري.
٧- أخلاق حملة القرآن ص ٥٢- ٥٣.
٨- التبيان ص ٣٩ - ٤٠.
٩- التبيان ص ٤٤.

أفلح الزمان
باحث دراسات إسلامية

حماية الخصوصية في القرآن الكريم

الخصوصية مصطلح مستحدث في العصر الحديث يحدد الإطار الذي ينظم مدى تدخل المجتمع في حياة الفرد. وتعتبر الدول الحديثة حماية الخصوصية حقا أساسيا لمواطنيها. علاوة على ذلك، فإن مفهوم الخصوصية يتقاطع مع مجالات عديدة، فقد تنوعت تعريفاته واعتباراته، مما يجعل من الصعب حصره في تعريف واحد شامل. وقد أشار الباحث الدكتور تنوير أحمد بن محمد نذير في رسالته للدكتوراه إلى أنه قد «انعقد الإجماع على صعوبة التوصل إلى تعريف جامع مانع للخصوصية»[1].

ويتطلب الحديث عن المجالات التي يشملها مفهوم الخصوصية، توضيح أن هذا المفهوم يختلف بناء على آراء الباحثين حول حدود الخصوصية؛ حيث يفضل البعض تحديدها بدقة، بينما يوسع آخرون نطاقها. عموما، يعتبر كل ما لا يندرج ضمن الحياة العامة جزءا من الحياة الخاصة، وحمايته تعد جزءا من حماية الخصوصية. بناء على هذا، تتسع مجالات الخصوصية لتشمل أبعادا أوسع. فقد ذكر الباحث إبراهيم بن سليمان بن عبدالله الشايع تقسيم مجالات الخصوصية إلى المجال المادي، الذي يحتوي على كل مجال يفرض وجوده وفق وعاء مادي ملموس، فالمسكن، وجسم الإنسان، والرسائل، والاتصالات كلها، ذات وجود مادي[2]. والمجال المعنوي، الذي يحتوي على كل مجال يفرض وجوده وفق وعاء معنوي بغض النظر عن كون وسيلة الاستئثار به، أو الانتفاع منه، مادية أو معنوية، كالأسرار، وامتلاك صلاحية اتخاذ القرار في الشأن الخاص[3].

وحماية الخصوصية تعتبر من المواضيع الأساسية في القرآن الكريم، لأنها تساعد الإنسان على بلوغ درجة الصلاح والكمال، وتجنب ما قد يؤدي إلى الفساد والشر. فهي وسيلة ترفع الإنسان من الدرك الأسفل من الرذائل إلى الرتبة العليا من الفضائل. قد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدل على أهمية حماية الخصوصية، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾(النور:٢٧-٢٩)، من ظاهر الآية الأولى نفهم أن دخول بيت الآخرين محرم إلا بعد الاستئذان والسلام على أهل البيت، وهما الطريقان للحصول على الإذن. ثم جاء قول الله تعالى كترغيب للمؤمنين: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الآية الثانية، يوضح الله عز وجل أنه إذا لم يكن هناك أحد، فلا يجوز للمؤمنين الدخول حتى يحصلوا على الإذن.

وإذا طلب صاحب البيت منهم المغادرة، يجب عليهم الخروج فورا. ويعقب الله ذلك بقوله: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي أطهر للمؤمنين، ثم يختتم بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وهذا للتنبيه على أن الله يعلم كل ما يقوم به الإنسان، بما في ذلك من يتجاهل طلب صاحب البيت بالمغادرة ويتدخل في خصوصياته. ويتواصل النص القرآني ليبين أنه لا حرج على المؤمنين في دخول بيوت غير مسكونة إذا كان لهم فيها حاجة أو متاع.

في فترة الجاهلية، لم يكن هناك أي قيد لدخول بيوت الآخرين؛ إذ كان بإمكان أي شخص دخول أي بيت دون الحاجة إلى إذن، وفي أي وقت يشاء. وقد ذكر ابن كثير، رحمه الله، سبب نزول هذه الآية فقال: «وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه، لا يسلم عليه، ويقول: حييت صباحا وحييت مساء، وكان ذلك تحية القوم بينهم. وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم، ويقول: قد دخلت. فيشق ذلك على الرجل، ولعله يكون مع أهله، فغير الله ذلك كله، في ستر وعفة، وجعله نقيا نزها من الدنس والقذر والدرن، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾[٤]. ومن هنا ندرك أنه لم يكن في الجاهلية أي حماية لخصوصية الإنسان، ولم يتنبه الناس إليها، فأدبهم الله بالإسلام، لأن الله تعالى قرر أن للإنسان خصوصيات لا بد من حمايتها من الآخرين، فالبيت مكان الانفراد والخصوصية بالنسبة للشخص، وله أشياء يجب أن يسترها عن الآخرين، أو أشياء يكره أن ينظر الناس إليها، لذا أمر الله بالاستئذان، كما رصد القرطبي رحمه الله «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا﴾ لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة»[٥].

ولكن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، دائم التعامل مع الآخرين، وقد يكون له حاجة إلى الدخول في بيوت الغير، فوضع الله للناس وسيلة وهي الاستئذان، وإذا استأذن أحد لدخول البيت فأذن له صاحبه، يمكن له الدخول لأن صاحب البيت علم بقدوم الأجانب إلى البيت فيمكن له أن يستر ما شاء ستره عن أعين الأجانب من الأمور من الخصوصيات الشخصية والعائلية، كما نبه الأستاذ ابن عاشور عن حكمة تشريع الاستئذان لدخول البيت حيث قال: «علة شرع الاستئذان ما يكره أهل المنازل من رؤيتهم على غير تأهب بل العلة هي كراهتهم رؤية ما يحبون ستره من شؤونهم»[٦].

ومن هنا يتضح لنا أن الآيات القرآنية جاءت بتأكيد حرمة المسكن. إن الآية نصت أولا على منع دخول بيت الغير، وجعلت حال السماح به استثناء، ثم أمرت الآية بعدم جواز دخول البيت الذي ليس فيه أحد، فإنما يجب صون حرمة المسكن في كل حال، إن لم يحصل أحد على الإذن للدخول أو أن بعض أهل الدار طلب منه الرجوع، ففيه دلالة على حق الإنسان في منع غيره من الوقوف على باب داره، ثم قال الله: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ هذا تعظيم لحرمة المسكن، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ترهيب للمتجسسين على البيوت كما ذكر القرطبي رحمه الله حيث قال:

«توعد لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر إلى ما لا يحل ولا يجوز، ولغيرهم ممن يقع في محظور»[٧]. وقال الآلوسي في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ بأنها «وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات»[٨]. ومما سبق ذكره، يتضح أن الآيات المشار إليها تؤكد حرمة المسكن احتراما لخصوصيات الإنسان. فالآيات المتعلقة بحرمة العورات وما شابهها في القرآن الكريم، تدل على فروع الحرمة الذاتية التي تعد جزءا من خصوصية الفرد والتي لا يرغب الإنسان في أن يطلع عليها الآخرون. ولذلك، جاء القرآن ليقرر حفظ هذه العورات، كما ورد في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ (النور:٥٨-٥٩).

كما تقدم، فإن الأصل في دخول البيت هو الاستئذان عند الجميع. ومع ذلك، خصصت هذه الآية، إذ سمحت للصبيان وللذين ملكت أيمان المؤمنين بالدخول بعد الاستئذان في الأوقات المحددة في الآية. أما في غير هذه الأوقات، فيمكن لهم الدخول دون إذن. ويقتصر هذا الحكم على هذين الفريقين فقط، بينما يجب على غيرهم الاستئذان في كل الأوقات، كما تدل عليه الآية ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

وسبب تخصيص هذين الفريقين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالاستئذان في أول السورة قبل دخول البيت مطلقا، والتفريق في آخرها لأجل الحاجة؛ لأن المملوك والصغير طواف يحتاج إلى دخول البيت في كل ساعة فشق استئذانه بخلاف المحتلم»[٩].

وقال العلامة ابن عاشور في تفسيره: «ذكر في هذه الآية شرع الاستئذان لأتباع العائلة ومن هو شديد الاختلاط إذا أراد دخول بيت، فهو من متممات ما ذكر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ (النور:٢٧)، وهو بمفهوم الزمان يقتضي تخصيص عموم قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ الآيات؛ لأن ذلك عام في الأعيان والأوقات

فكان قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ تشريعا لاستئذانهم في هذه الأوقات وهو يقتضي عدم استئذانهم في غير تلك الأوقات الثلاثة»[10].

تدل هذه الآية على أن التكشف في هذه الأوقات لم يسمح به إلا بعد الاستئذان، وذلك لأن الإنسان قد يظهر منه ما يكره أن يراه أحد من العبيد أو الصبيان، لذا أمروا بالاستئذان في هذه الأوقات. ومن هنا نفهم أن القرآن شرع الاستئذان عند دخول أحد على شخص آخر في وقت خلوته، وذلك لحكمة حفظ خصوصياته وصيانة حرمته.

وقد حرم ومنع القرآن التجسس والاغتياب كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ (الحجرات:١٢).

وهذه الآية من أهم ما ورد في القرآن لحفظ الخصوصية، إذ تؤصل بعبارات موجزة لحماية الإنسان من التجسس، وتتبع عوراته، والبحث عما خفي من أموره. وعند فهم هذا الأصل، يلاحظ أن الحكم يشمل تحريم المسارقة السمعية والبصرية، وتحريم الاطلاع على أسرار الغير، وتحريم البحث عن خصوصيات الإنسان التي يخفيها عن الآخرين، إذ إن ذلك كله يدخل في معنى التجسس.

ولأن الإنسان قد يراوده خاطر التهمة ابتداء، فيسعى للتجسس والبحث والتقصي، والتبصر والاستماع للتحقق مما وقع له من شكوك، جاء النهي الواضح عن التجسس، حماية للخصوصية وصونا لحقوق الأفراد. فالمراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ كما قال ابن جرير الطبري رحمه الله «ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره»[11]. وكما فسر عنه صاحب التحرير والتنوير: «التجسس من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سرا فيسلك طريق التجسس فحذرهم الله من سلوك هذا الطريق للتحقق ليسلكوا غيره إن كان في تحقيق ما ظن فائدة. والتجسس من المعاملة الخفية عن المتجسس عليه. ووجه النهي عنه أنه ضرب من الكيد والتطلع على العورات. وقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوؤه فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة وذلك من نكد العيش»[12].

في الختام، يتضح أن مفهوم الخصوصية، رغم تحدياته وتعريفاته المتعددة، يمثل حجر الزاوية في حماية كرامة الأفراد وضمان احترام عالمهم الذاتي. ومن خلال استعراض النصوص القرآنية وتفاسيرها العلمية، نلاحظ أن الخصوصية تتداخل مع جوانب متعددة من حياتنا، وتفرض على الأفراد والمجتمعات مسؤولية كبيرة في الحفاظ عليها، وإن تطور مفهوم الخصوصية يعكس التغيرات الاجتماعية والتقنية، مما يستدعي تعزيز الوعي والالتزام بحمايتها على جميع الأصعدة، كما تظل الخصوصية حقا أساسيا لا يمكن تجاهله، وهي تتطلب منا جميعا احترام حدودها وتقدير أهميتها في بناء مجتمع عادل.

الهوامش

١- تنوير أحمد بن محمد نذير، حق الخصوصية: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الإنجليزي، (رسالة الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام باد، العام الدراسي ٢٠٠٧م)، ص:٤٠.

٢- إبراهيم بن سليمان بن عبدالله الشايع، حق الخصوصية في الفقه الإسلامي، (رسالة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦-٢٧) مكتبة عين الجامعة.

٣- المرجع السابق.

٤- أبو الفداء محمد بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ببروت، دار طيبة للنشر، ط٢، ج٦، ١٩٩٩م، ص:٤٠.

٥- أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ج١٢، ١٩٦٤م، ص:٢١٢.

٦- محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير من تفسير الكتاب، تونس، الدار التونسية للنشر، ج١٨، ١٩٨٤م، ص:٢٩٦.

٧- أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ص:٢٢٠.

٨- شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ج٩، ١٤١٥هـ، ص:٣٣٣.

٩- شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج١٥، ٢٠٠٤م، ص:٣٧٠.

١٠- محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير من تفسير الكتاب، ص:٢٩١.

١١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ج٢٤، ص:٣٠٤.

١٢- محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير من تفسير الكتاب، ص:٢٥٣.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wasi Al-Islami
عاما

أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث

حلقات ذوي الهمم في الكويت

منذ اللحظات الأولى لم يهمل الإسلام ذوي الهمم فقد اعتنى بهم ولم يستقل بهم أو يمنعهم مكانة يستحقونها بملكاتهم، ولم يسقط عنهم بعض التكاليف لنقص أهليتهم إنما جعل لهم تكاليف تليق بهم ولا تقل عن غيرهم تناسب أوضاعهم ولا تنقص من قدرهم، فقد أسقط عنهم الجهاد بالسنان وأوجب عليهم الجهاد باللسان، بالنصح لله ورسوله قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (التوبة:٩١-٩٢).

فجهاد اللسان بالنصح والتبصير يليق بأصحاب البصائر ومن فتح الله لهم المدارك فأدركوا حقائق الأمور فكانوا نورا للمبصرين وإن كانوا أكفاء، ومحركا للأصحاب وإن كان بهم عجز أو إعاقة حركية.

وقد جعل الله -تعالى- لهم مثل ما للمجاهدين المقاتلين عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر» (١).

وكان النبي ﷺ يتخذ له مؤذنا من ذوي الهمم وهو

عبدالله بن أم مكتوم، وكان يستخلفه على المدينة ليؤم الناس في الصلاة إذا خرج للجهاد تقديرا له، ولمؤهلاته التي تؤهله لذلك، وفيه أنزلت سورة عبس تقديرا له ورفعا لقيمة عماه الحسي مع نور بصيرته في مواجهة من كان به بصر وحرم البصيرة.

وكان من شهداء أحد واحد من ذوي الهمم وهو الصحابي الجليل عمرو بن الجموح، فقد كان به عرج وأراد الجهاد فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد»[٢].

واستمرت الأمة في الاهتمام بذوي الهمم فأخرجت جهابذة في كل فن وعمد يستند إليها في كل علم، ففي القراءات يبرز الشاطبي صاحب متن الشاطبية الذي نظمه نظما فريدا وكان الشاطبي كفيفا وقد وصف نظمه بالإعجاز من دقته وإحكامه وإحاطته بكل تفصيلة في القراءات، وفي كل عصر وكل فن كان لهم أعظم الأثر، مثل عبدالله بن هرمز الأعرج وعطاء بن أبي رباح، والدوري أبو عمرو والترمذي الذي أصيب بكف البصر في أواخر عمره وأحمد عبدالعزيز الزيات، وغيرهم الكثير.

وكان أصحاب الهمم من بين الدارسين في الأزهر ويتميزون بأنهم أصحاب ذاكرة حادة وعقل ألمعي وبصيرة كاشفة، مما أخذ الله سبحانه وتعالى منهم عوضهم بما يفوق مالم يعطه لهم.

وفي الكويت يلحظ المقيم بها والمتابع لأخبارها اهتماما كبيرا بحلقات القرآن الكريم فلها إدارة خاصة بها وقد أقامت الدولة دورا للقرآن الكريم وعلومه وجعلت الدارسة فيها بالمجان ليسهل على كل راغب في دراسة القرآن دراسته وحفظه بالإضافة إلى الحلقات التي تقام في المساجد والتي تتبع وزارة الشؤون الإسلامية أو الجمعيات المبرات الخيرية.

وأصحاب الهمم في القلب من هذا الاهتمام فلهم هيئة تعنى بشؤونهم وأيضا ناد للمكفوفين ونادي المعاقين الذي يهتم بكل الأنشطة ومن بينها تحفيظ القرآن الكريم، وتقام على سبيل المثال مسابقة لحفظ القرآن الكريم بنادي المعاقين بالتعاون مع جمعية الحكمة الخيرية والتي تهتم اهتماما كبيرا بحلقات ذوي الهمم ولديها لجنة خاصة يشرف عليها مباشرة رئيس الجمعية د. أحمد صباح الملا، وقد ضمت المسابقة أخيراً خمسين متسابقا ممن لديهم إعاقة حركية أو إعاقة ذهنية وكانت المسابقة تحت رعاية الشيخ فهد نايف جابر الأحمد الصباح والشيخة شيخة العبدالله، وهذا يدل على أن الاهتمام بذوي الهمم والحرص على تحفيظهم كتاب الله تعالى يلقى اهتمام كل الكويتيين.

ومما يثلج الصدر أن أظهر المتسابقون كفاءة عالية في حفظ كتاب الله -تعالى- من حيث الإتقان والأحكام مما يزداد المرء مع هذه الكفاءة يقينا في كتاب الله تعالى وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧).

جاء مستوى الطلاب ممتازاً وكان حرصهم على حضور الحلقات يفوق كل وصف والتزامهم بالبرامج التي تقيمها الجمعية ونادي المعاقين شديد أثمر هذا المستوى بالإضافة إلى اهتمام المسؤولين بهم فهو الحافز الأول والمشجع لهم على الحضور والاستمرار، فقد لاحظنا اهتمام المسؤولين بهم وإكرامهم والخضوع لهم والتبسط معهم مما أوجد ألفة بينهم فكانوا كأنهم أسرة واحدة.

ولما أثنينا على مجهودهم هذا وبذلهم من وقتهم وطيبهم لذوي الهمم كان الرد: «هم بركتنا ونرجوا من الله أن يشفع فينا القرآن».

وكان الاهتمام بذوي الهمم يتسم بالتجرد وخلوه من التحيز لجنس دون جنس، فقد تساوى في الاهتمام والحفاوة والترحاب المواطن بالمقيم، وهذا ليس بغريب على دولة الكويت دولة الإنسانية التي تتعامل مع مصطلح الإنسانية بشكل مجرد فشهد لها العالم واعترف بسبقها في هذا المجال.

الهوامش

١- أخرجه البخاري في صحيحه ٤٤٢٣.
٢ - أخرجه أحمد في مسنده حديث أبي قتادة الأنصاري ٢٢٥٥٣.

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠

ملف العدد

د. أحمد محمد القزعل
باحث أكاديمي

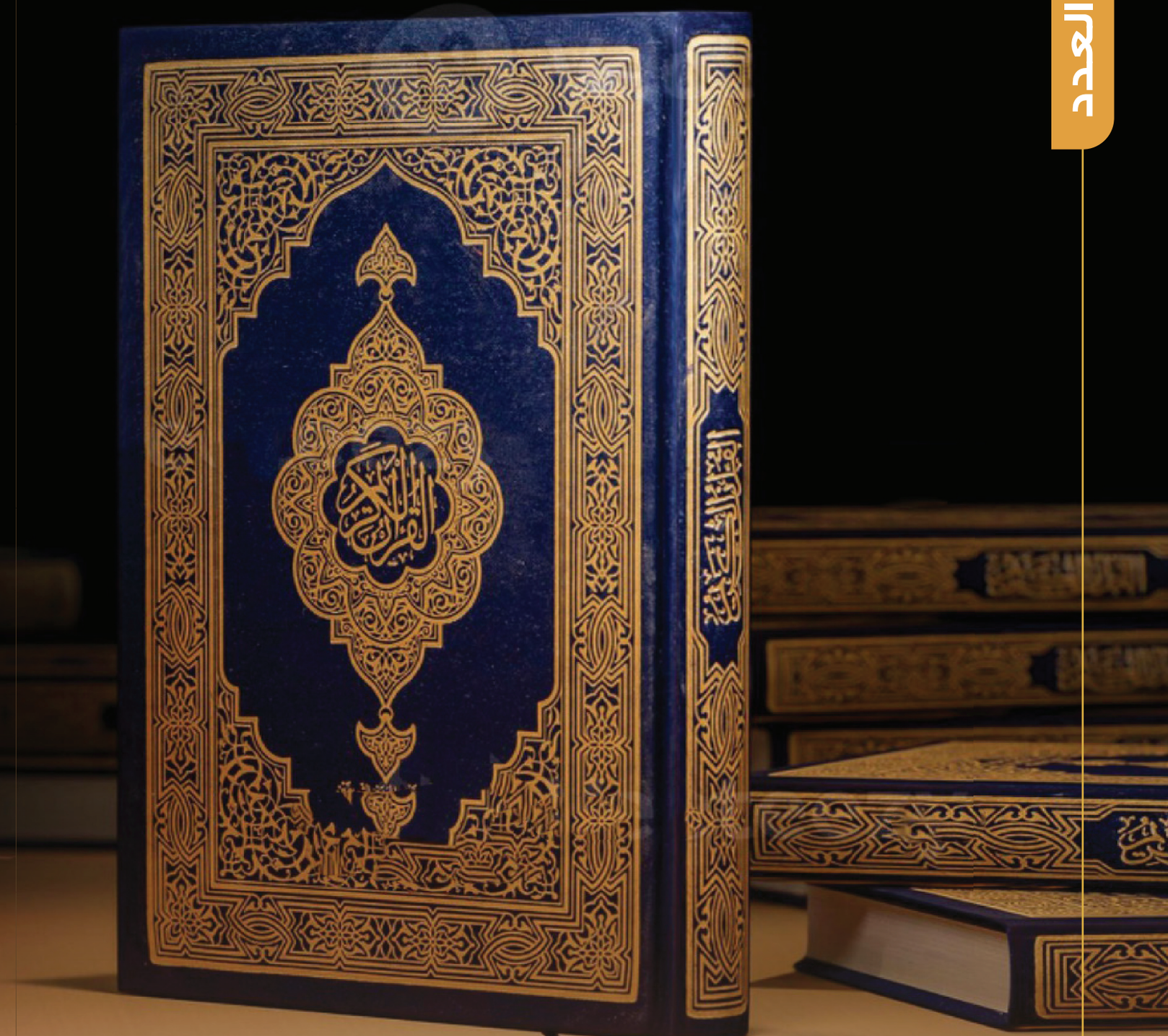

من أسمى إنجازات الخليفة عثمان رضي الله عنه

جمع الأمة على مصحف واحد

كان النبي ﷺ يأمر بكتابة القرآن الكريم الذي ينزل عليه، واشتهر من كُتَّاب الوحي زيد بت ثابت[1]، وانتقل الحبيب المصطفى ﷺ إلى جوار ربه والقرآن كله مكتوب، لكنه غير مجموع في موضع واحد وكان محفوظا في صدور الرجال، ولعل النبي ﷺ لم يقم بجمعه في صحف ولم ينسخه في كتاب جامع؛ لقصر المدة بين آخر ما نزل عليه من القرآن وانتقاله إلى جوار ربه، ولأن ذلك لم يكن مناسبا مع استمرار نزول الوحي، فالقرآن الكريم لم يكتمل بعد، ومن المعروف لدى الجميع أن الترتيب الذي أراده الله تعالى ليس على نحو الطريقة التي أنزل عليها، فسورة البقرة نزلت متأخرة وهي في ترتيب القرآن الكريم متقدمة[2].

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه تجلت ضرورة جمع القرآن الكريم؛ بسبب حروب الردة وما حدث من استشهاد الكثير من الصحابة وحفظة القرآن في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب[3]، فقال عمر لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: «إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن...»[4]، فأرسل أبوبكر الصديق إلى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما، فلما حضر قال له أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه»[5].

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[6] واللخاف[7] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر في

حياته، ثم عند حفصة بنت عمر»[٨].

وفي عهد عمر رضي الله عنه تابع بنفسه العمل لجمع القرآن الكريم، وأمر بوضع الصحف عند حفصة؛ لأن عمر رضي الله عنه جعلها وصية على ما ترك بعد وفاته[٩]، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتسعت نطاق الفتوحات الإسلامية وانتشر الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار يعلمون الناس كتاب ربهم وشرائع الدين الحنيف، وكان حذيفة بن اليمان يغزو مع جيش في أرمينية وأذربيجان، فلاحظ اختلاف الناس في قراءة القرآن الكريم؛ لقرب عهدهم بالإسلام، فأخبر الخليفة عثمان رضي الله عنه وطلب إليه أن يجمع القرآن الكريم ويدون في مصاحف يرسل بها إلى الأمصار، ونستمع لهذه الرواية الصحيحة مفصلة من صحيح البخاري، عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى!» فأرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان رضي الله عنه الصحف إلى حفصة رضي الله عنها، ثم أرسل الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[١٠].

ومن الفوائد المستخلصة من مسألة جمع القرآن الكريم أن السبب الحامل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن الكريم هو خشية ضياع شيء من القرآن الكريم عندما استحر القتل في معركة اليمامة. أما السبب الحامل لعثمان

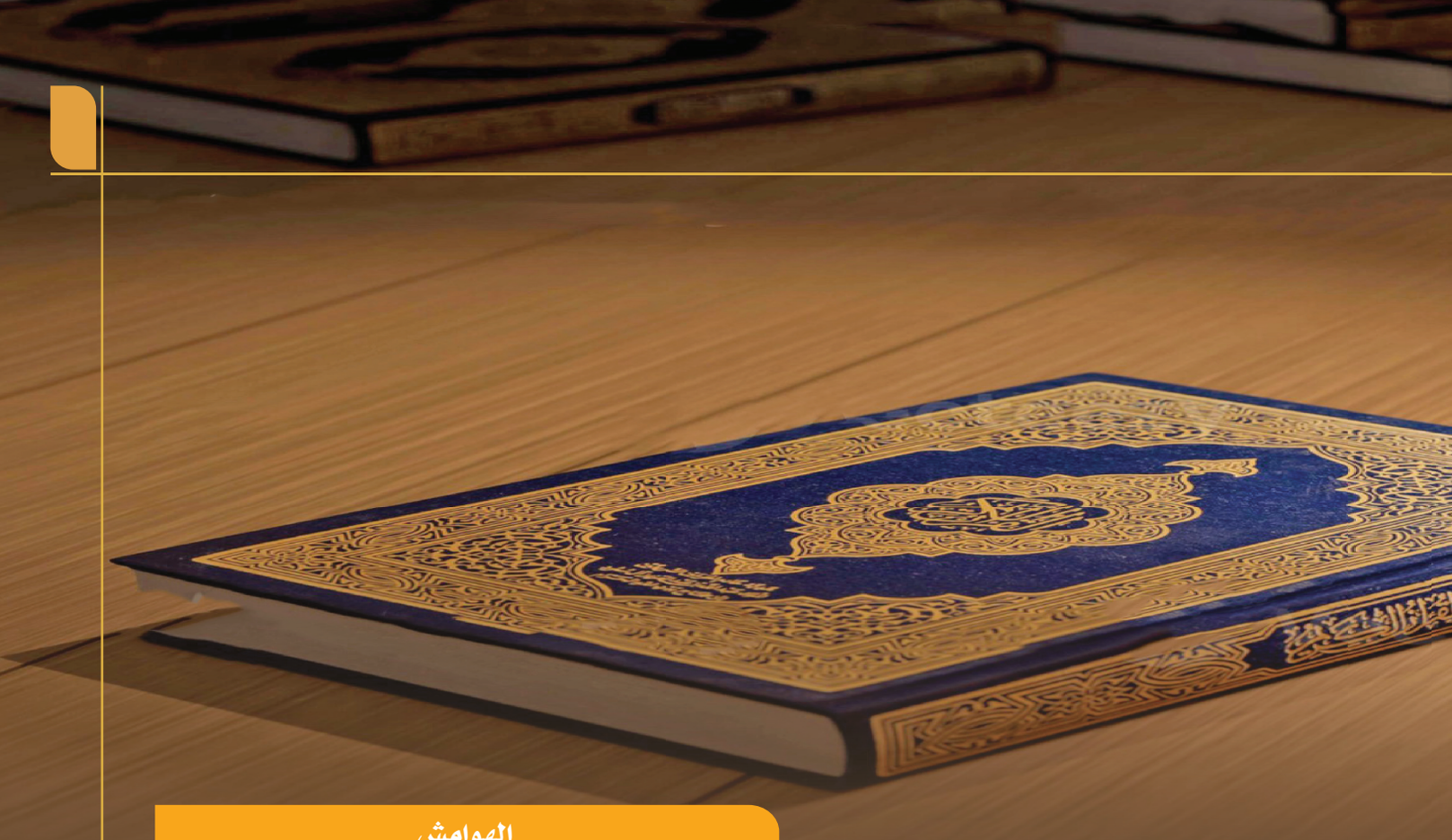

ابن عفان رضي الله عنه، فهو الاختلاف في قراءة القرآن الكريم، فخشي من أن يقرأ كتاب الله على غير ما أنزل.

كما أن الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان جمعا للصحف المتفرقة عند الصحابة في مصحف واحد. أما الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان نسخا لما جمع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما.

والسبب في اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم، يفسره ابن حجر ذلك بقوله: «ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة»[11].

الهوامش

١- أبوالفداء، إسماعيل بن كثير، فضائل القرآن، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م الصفحة:٩٣.

٢- أبوعثمان، د. أحمد محمد القزعل، الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، بيروت، دار الخير، ط١، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، الصفحة: ٦٧ وما بعد.

٣- أبوالفضل، أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١، الجزء:٨، الصفحة:٢٣٦.. ويقول ابن حجر في نفس المصدر وذات الصفحة ما نصه: «المراد باليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب، وكان من شأنها أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز إليه أبوبكر الصديق خالد بن الوليد في جمع من الصحابة، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله وقتله وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر».

٤- نفسه، ص:٨٥٥.

٥- نفسه، ص:٨٥٨.

٦- (العسب): جريد النخيل، إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الصفحة: ٦٠٠.

٧- (اللخاف): جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة، إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الصفحة: ٨٢٠.

٨- أبوالفضل، أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١، الجزء: ٨، الصفحة:٨٥٦.

٩- نفسه، ص:٨٦٣.

١٠- أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار الفكر، ط٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، كتاب فضائل القرآن(٦٩)، باب: جمع القرآن (٣)، حديث رقم: (٤٧٠٢)، الجزء: ٤، الصفحة: ١٩٠٨.

١١- أبوالفضل، أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز ابن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١، الجزء: ٨، الصفحة: ٨٥٩.

عبدالله الظفيري
صحفي وباحث

دور القرآن.. صروح مباركة

إيمانا منها بخدمته وترسيخا لما فيه من تعاليم سمحة وأخلاق سامية، اهتمت الكويت بكتاب الله الكريم وسعت إلى نشر تعليمه وتحفيظه عبر المساجد ودور القرآن وحلقات التحفيظ وغيرها من وسائل مختلفة.

ومن أجل حفظ كتاب الله تعالى وترتيله وتجويده أنشأت وزارة الشؤون الإسلامية دور القرآن الكريم التي أصبحت منتشرة في كل مناطق الكويت.

وتعتبر دور القرآن الكريم أحد الصروح المباركة التي تعنى بكتاب الله الكريم ترتيلا وتحفيظا وتعليما وتدريسا له ولكل ما يتصل به من علوم شرعية وما يتصل بها من علوم إنسانية.

وبعد مرور نحو ٥٣ عاماً على إنشاء أول دار للقرآن الكريم في العام ١٩٧١م ازداد عدد مراكز دور القرآن للرجال والنساء والتي انتشرت في كل أنحاء الكويت، إضافة إلى تأسيس مشاريع التحفيظ في عدد من المناطق وغيرها الكثير من المشاريع الهادفة إلى خدمة كتاب الله تعالى.

ويأتي الاهتمام بكتاب الله تعالى استكمالا لما تميزت به دولة الكويت منذ القدم بحفظ القرآن الكريم عن طريق «الكتاتيب» وهي السُّنة الحميدة التي أرسى قواعدها الآباء والأجداد.

وتابعت وزارة الشؤون الإسلامية مسيرتها المباركة في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ونشر علومه بين المسلمين على اختلاف جنسياتهم ومستوياتهم العلمية مواكبة للنهضة العلمية والمدنية الحديثة في العصر التكنولوجي.

ونظرا للإقبال المتزايد على الدراسات الإسلامية والتوسع في إنشاء المزيد من المراكز المتعددة للرجال والنساء في

المحافظات الست كان لابد من مواكبة هذا التوسع بالعمل على تحديث النظام وتطويره بما يلائم عصر الثقافة الحديثة والعولمة الجديدة، لذلك أنشأت وزارة الشؤون الإسلامية معهد الدراسات الإسلامية في عام ١٩٧٨م تلبية لحاجة المجتمع من المخرجات الشرعية للتدريس الشرعي وتحفيظ القرآن الكريم في بيوت الله تعالى، كما افتتح أول معهد للنساء عام ١٩٨٤م.

وأنشأت «الأوقاف» عددا من المراكز في المؤسسات الإصلاحية ودور الرعاية الاجتماعية مساهمة منها في تعليم القرآن الكريم لجميع شرائح المجتمع المختلفة. كما أفسحت المجال للجاليات الإسلامية بدولة الكويت، وأنشأت مراكز للناطقين باللغة الأوردية والفلبينية ودارا للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية وغيرها من مشاريع، إيمانا منها بالدور المنوط بها في رعاية كتاب الله تعالى والعمل على تعليمه.

وتتميز دور القرآن الكريم بتوفير المناخ الملائم لإعداد حفظ كتاب الله عزوجل والتخصص في علم التجويد لإعداد جيل من الحفظة الذين يتولون الإمامة والخطابة.

وتعتبر دور القرآن مؤسسة تربوية تعنى بتعزيز الجانب الثقافي والشرعي في المجتمع وتسعى إلى مساعدة الدارسين والدارسات على حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله وتلاوته وتعلم أحكام التجويد وتزويدهم بالعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وعقيدة وسيرة وغيرها، كما تعمل على تنمية الوعي الديني بين أفراد المجتمع وتصحيح الأفكار الخاطئة وتحصين المجتمع من أخطارها بمواجهة ما يجد على الساحة من ممارسات وتصرفات تسيء لتعاليم الدين وعادات مجتمعنا وتقاليدنا.

كما أن من ضمن الرسالة التي تضطلع دور القرآن بأدائها؛ المحافظة على كيان الأسرة المسلمة وحمايتها من الأخطار التي تهددها والعمل على نشر القيم والفضائل والأخلاق والتعاون مع شتى الجهات لتحقيق الأغراض.

وتهدف دور القرآن الكريم إلى تزويد الدارسين والدارسات بالقدر المناسب من العلوم الشرعية والثقافة الإسلامية، والاهتمام بالقرآن العظيم حفظا وتجويدا وتفسيرا، والالتزام بسنة رسول الله ﷺ حفظا وسلوكا والسعي إلى نشرها وتعليمها، وتسعى لتكوين الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع قضايا الأمة المعاصرة، وتنمية القيم وتفعيل الاتجاهات الإسلامية لدى جميع شرائح المجتمع لتحصيل الأجيال بالمقومات والسلوكيات الإسلامية، ومساعدة المسلم في فهم قضايا الإسلام المعاصرة والدفاع عنها، والإلمام بعلوم اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وتعميق الشعور بالمسؤولية نحو تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

ومن أهم الإنجازات والعطاءات الكثيرة التي حققتها دور القرآن خلال مسيرتها المباركة زيادة الوعي الديني بشكل عام، ونشر العلم الشرعي لدى شرائح مختلفة من المجتمع وفئات متعددة ومتنوعة من حيث المستوى العلمي والثقافي والاجتماعي واستيعاب آلاف الدارسين والدارسات الراغبين في حفظ وتلاوة وتعلم القرآن الكريم وعلومه، إضافة إلى تنامي مراكز دور القرآن وانتشار أعدادها في محافظات الكويت الستة، وعدم اقتصار التعليم فيها على اللغة العربية إنما تم افتتاح مراكز للجاليات المقيمة في الكويت بلغاتها مثل «لغة الأوردو»، فضلا عن تأسيس بعض المشاريع الأخرى مثل إنشاء مشروع مراكز الأترجة الذي يعد الأول من نوعه والمخصص في أهم جوانب العلوم الشرعية ألا وهو تعليم وتحفيظ كتاب الله وإعداد جيل من حفظة القرآن الكريم بأعلى مستوى في الأداء والحفظ.

حسن الحضري
عضو اتحاد كتاب مصر

الأدب بين حصن العلم واختلاف الثقافات

عرف العلماء الأدب فقالوا: هو حسن التناول[١]؛ وهذا يعني أن أدب اللغة هو حسن تناولها. كما عرفوا الشعر فقالوا: هو العلم؛ وإنما اختص به الشعر؛ لشرفه بالوزن والقافية[٢]. والمعروف أن كل علم له قواعده وثوابته التي لا يمكن أن يستقيم من دونها. وتسمية الشعر بالعلم أمر قديم ومتعارف عليه بين العرب؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣هـ): «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[٣].

كما وصف الشعر بالصنعة؛ قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته؛ يستميل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم»[٤]، وقال ابن سلام (ت:٢٣٢هـ): «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات؛ منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان؛ من ذلك: اللؤلؤ والياقوت؛ لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره؛ ومن ذلك: الجهبذة بالدينار والدرهم؛ لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها، وستوقها ومفرغها؛ ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده -مع تشابه لونه ومسه وذرعه- حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذي خرج منه»[٥].

وفي إدراج الشعر ضمن الصناعة ما يدل على ضرورة وجود المادة التي يصنع منها؛ وهي المفردات التي تصاغ بشكل فني في إطار ما يتعلق بالشعر من وزن وقافية

وغيرهما، وكذلك في تسميته بالعلم دلالة على ضرورة وجود القواعد العلمية، بجانب كثرة الاطلاع؛ وهو ما عبر عنه الأصمعي (ت:٢١٦هـ) بقوله: «لا يصير الشاعر في قرض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أنه يعلم العروض؛ ليكون ميزانا له على قوله، والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه؛ والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم»[٦].

هذه هي حال الشعر الذي هو أعظم فنون الأدب وأوسعها انتشارا وأقدمها عند العرب، وقد كان الشعر بخير طيلة إدراك العرب هذه المعاني السابقة؛ حين كان الشعر بشكل خاص، والأدب بشكل عام ينتمي إلى حصن حصين؛ هو العلم، فلم يجرؤ أحد أن يتطفل عليه أو يعبث بمقوماته وقواعده، إلى أن حل عصرنا الحاضر حيث ابتكر أعداء العروبة والإسلام ما أتيح لهم من حيل ومؤامرات من أجل القضاء على هويتنا، والعبث بمقومات علومنا التي كانت الفخر الأول لنا وكانت معروفة بنا وعرفنا نحن بها، فأرادوا تفتيت كل عامل مشترك يجمع بين أمتنا الكبيرة؛ لأن تفتيت هذه العوامل يؤدي إلى تفتيت الأمة، وهذه غايتهم كما هو معروف، لذلك فقد صدروا إلينا الخلط بين الأدب والثقافة، وهم يعلمون أن كل واحد منهما في جوهره مغاير للآخر؛ وكان هدفهم من ذلك أن يكون أدب كل بلدة من بلداننا العربية والإسلامية خاضعا لثقافتها المحلية بعد أن كان في الماضي معبرا عنها.

وهذا التحول ليس بالأمر الهين؛ فقد أدى شيئا فشيئا إلى ظهور طوائف في كل بلدة، من المحسوبين على الأدب، ينادون بأن يكون أدبهم موافقا لثقافتهم ولهجتهم المحلية، تحت زعم خصوصية الهوية، ولم يحاول هؤلاء أن ينظروا إلى الهوية الأعم والثقافة الأشمل واللغة الموحدة التي ارتضاها لنا الله تعالى وأنزل بها كتابه على نبينا ﷺ وجعلها لغتنا الجامعة التي يجب أن تكون أساسا رئيسا لثقافتنا وعنوانا بارزا لحضارتنا.

إن هذا التحول الذي ابتلي به أدبنا العربي، حين أخرجه بعض أبناء جلدتنا من «حصن العلم» إلى «هوة الثقافة» وتفاوتها واختلافها؛ كان استجابة لأطماع خارجية لا تريد أن تنتهي أو يرتدع أصحابها، وكيف يرتدعون وقد وجدوا بين صفوفنا من يمد لهم يد العون؟! وأيا كانت الملابسات الأخرى التي صاحبت هذا التحول؛ مثل زعم التطور ومواكبة الحضارة الحديثة ونحو ذلك؛ فكلها ملابسات وادعاءات لا تقتضي هذا التحول، ولا شك أن البون الشاسع بين التطور المزعوم وذلك التحول الذي لحق هويتنا وضربها في مقتل؛ أمر لا يلتبس على القائمين به؛ فهم يقصدون ما يفعلون ويدركون نتائجه.

إن العرب الأقدمين على اختلاف لهجات قبائلهم، وتعدد ثقافاتهم، وما كان لكل قبيلة من خصوصية في بعض العادات والتقاليد؛ التقوا في أدبهم عند لغة واحدة هي لغة قريش، فتوحدت لغة الأدب عندهم كما توحدت سائر مقوماته العلمية وهي القواعد المعروفة؛ كالوزن والقافية في الشعر، وبذلك حافظ العرب على هويتهم؛ فالأدب في أي مجتمع بشري هو صورة صادقة له، لذلك يضع الغزو الثقافي والفكري في مقدمة أهدافه تجريد الأدب من قواعده العلمية الثابتة، وذلك من خلال تفريعه على الثقافة وليس على العلم، ولا يخفى على أحد أن البلد الواحد قد تتعدد فيه الثقافات وتختلف، فإذا اختلف الأدب وفقا لاختلاف الثقافات؛ ضاعت الهوية المشتركة التي تجمع شتات أبناء تلك الثقافات المتعددة، وهذا هو الهدف الذي استطاع الغزو الفكري والثقافي تحقيقه بأيدي بعض إخواننا.

الهوامش

١- انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢٠٦/١)، طبعة: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢- المصدر السابق (٤١٠/٤).

٣- «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام (٢٤/١)، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة: دار المدني، جدة، د.ط، د.ت.

٤- «البيان والتبيين» للجاحظ (٦٨/٢)، طبعة: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٥- «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام (٦-٥/١).

٦- انظر: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» لابن رشيق (١٩٧/١-١٩٨)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة: دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Wasi AL-eslami

د. أبو المعاطي الرمادي
جامعة الملك سعود

الفصحى والعامية
تجاور وصراع

لم يتفق العلماء والباحثون على تعريف واحد للغة الفصيحة، فتعريفها عند اللسانيين يختلف عن تعريفها عند النحاة والأدباء، وتعريفها عند السياسيين يختلف عن تعريفها عند علماء النفس والاجتماع؛ ومرد ذلك إلى اختلاف مقاييس الفصاحة التي تتحكم فيها أمور كثيرة غير لغوية، على رأسها وجهة النظر إلى وظيفة اللغة، لكن هناك شبه إجماع على أن اللغة الفصيحة هي اللغة الملتزمة بقواعد النحو والصرف المتعارف عليها داخل المجتمع اللغوي الواحد، المألوفة في الاستخدام، والبعيدة عن الغرابة والغموض، والخالية من الألفاظ العامية الدارجة، و«السليمة من الخطأ في كلماتها وضبط حروفها؛ أي الصحيحة أبنية وشكلا»[1]. وهو إجماع يخرج من دائرة الفصاحة آلاف المفردات التي استخدمها العرب القدماء في أحاديثهم اليومية، لا لشيء إلا لأنها غير مألوفة، وغامضة بسبب هجرها، وغريبة بسبب غموض معناها.

هذا الخلاف حول تعريف اللغة الفصيحة، يظهر بوضوح عند تعريف العامية، فالبعض يراها اللغة[2] التي تتجاور فيها المفردات العربية مع المفردات الأعجمية، والبعض يراها اللغة الدارجة التي يتحدث بها العامة في مجالسهم، والبعض يراها اللغة الرافضة قواعد النحو والصرف وقوانين الكتابة المتعارف عليها، والبعض يراها اللهجات[3] ويعد اللهجات العربية عاميات. وهي تعريفات مطاطة وغير دقيقة، لكنها تجمع على أن لفظة العامية يرتبط بها كل خروج على قوانين اللغة الفصيحة: النحوية، والصرفية، والصوتية، وقواعد صناعة التراكيب.

وهما -الفصحى والعامية- متجاورتان في اللغات جميعها، نجد ذلك في الإنجليزية والفرنسية والإسبانية... إلخ، وكذلك في لغتنا العربية، والعلاقة بينهما متوترة دائما، وتتحكم فيها ظروف اجتماعية، وثقافية، وسياسية، لكنه التوتر النسبي الذي تعلو وتيرته أحيانا بفعل عوامل خارجة عن اللغة نفسها، وتهبط أحيانا بفعل العوامل نفسها.

العامية في ثقافتنا اللغوية العربية

قديمة قدم اللغة الفصحى نفسها، وفي رأيي أنها جاورت الفصحى (أقصد فصحى قريش) منذ العصر الجاهلي، لكن السيادة كانت للفصحى؛ بسب قوة أصحابها، وضعف المتحدثين بالعامية، الذين كانوا من العبيد الذين جلبهم تجار الرقيق من شمال وجنوب الجزيرة العربية وسواحل الحبشة. كان لهؤلاء العبيد -لاشك- لغتهم الأم التي اكتسبوها في أوطانهم، ومن أجل التواصل مع المجتمع الجديد، سعوا إلى تعلم العربية وأضافوا إليها من مفردات لغاتهم الأصلية، ما أدى إلى ميلاد لغة ثالثة عامية مفرداتها خليط من المفردات العربية التي كان لها الغلبة؛ لأنها لغة الأسياد وأصحاب الأرض، والرومانية والفارسية والتركية والسواحلية والألفاظ المنحوتة والمعربة، لغة لها قوانينها الخاصة، لا تهتم بقواعد اللغة الأولى/ اللغة الأم، ولا بقواعد اللغة الثانية/ لغة المجتمع الجديد الذي يعيشون فيه. قوى هذه اللغة الثالثة مفردات غير عربية أخرى أدخلها العرب أنفسهم إلى جسدها؛ فرحلات العرب إلى الشام واليمن سمحت لهم بالانفتاح على لغات الشعوب غير العربية، والاقتباس منها، واستخدام مفرداتها في أحاديثهم، لكنها لم تستطع زحزحة اللغة الفصيحة عن مكانها، وظلت لغة المواقف والأقليات التي لا يدون بها علم، ولا ينتج بها أدب. فعاشت بجوار الفصحى لا تصارعها، ولا تنازعها مكانها ولا مكانتها.

ولعل في قول النبي ﷺ: «الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به العرب في بواديها وتسل به الضغائن من بينها»[٤]، دليلا صريحا على وجود مستويين لغويين عند العرب القدماء؛ مستوى يميزه الرقي، لا يجوز التساهل في استخدامه بأي حال من الأحوال، ومستوى آخر شعبي عامي.

ظلت هذه اللغة موجودة في عصر صدر الإسلام وكثرت مفرداتها، فمع اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، وازدياد عدد المعتنقين للدين الجديد من غير العرب، اتسعت رقعة هذه اللغة، في المدينة عاصمة الدولة الإسلامية الأولى، ودخلتها مفردات جديدة من لغات المسلمين الجدد، لكن حضورها كان حضورا محدودا، فلم تمثل ظاهرة لغوية خطيرة، يخشى منها على العربية الفصيحة، لغة القرآن ولغة التعبد، المقدسة قداسة تعاليم الدين وأحكامه، وازدادت هذه الرقعة في العهد الأموي بسبب اندماج العديد من الأعراق في المجتمع العربي، لكنها -أيضا- لم تشكل تيارا لغويا يخشى منه على الفصحى، وظلت حبيسة ميدان التعاملات اليومية؛ لحرص الأمويين الشديد على عروبة دولتهم ورفضهم الخروج على هويتها العربية. ويمكننا وصف الجوار بينهما في العصر الأموي بالجوار الآمن؛ فقد كان بلا صراعات تشكل ظاهرة خطيرة.

ازداد حضور هذه اللغة في العصر العباسي؛ بسبب الانفتاح على الثقافات الفارسية، والرومانية، والهندية، الزنجية والبربرية، والقبطية، والتركية، والاندماج الكبير للعجم في المجتمعات العربية، وحاجتهم إلى لغة تضمن لهم التواصل مع محيطهم الاجتماعي في دار الخلافة، فاعتمد من لم يستطع تعلم العربية منهم على لغة قوامها مفردات تضمن تحقيق التواصل مع مجموعة الأعراق المشكلة المجتمع العباسي، زادت مفردات هذه اللغة مع زيادة الجنسيات الدخيلة على المجتمع العربي، ومع التغيرات المجتمعية والحضارية التي احتاجت إلى مفردات تعبر عنها، لكن الغلبة فيها كانت للمفردات العربية.

هذه العامية استخدمها العرب الخلص -لا شك- وسيلة للتواصل في بيوتهم مع الخدم وفي الأسواق لقضاء حوائجهم، فاكتسبت شرعية الوجود، وأصبحت السيادة غير الرسمية لها، ما جعل هارون الرشيد يقول لبنيه: «ما ضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه، أيسُر أحدكم أن يكون كلامه أو لسانه كلسان عبده وأمته»[٥]، وقد دفعت هذه الظاهرة المرضية علماء اللغة إلى جمع مفردات اللغة الفصيحة، وتأليف الكتب المعنية (بلحن الخاصة)[٦]؛ أي خواص العلماء والأدباء من العرب، بعد أن كانت هذه المؤلفات معنية (بلحن العوام)، وانزوت الفصحى قليلا على مستوى التواصل اليومي، لكن السيادة كانت لها في المؤلفات العلمية والأدبية والمخاطبات الرسمية، والحلقات التعليمية، والغلبة كانت لمفردتها في اللغة العامية؛ لذلك كان الحرص على تعلمها من أبناء البلاد المفتوحة، ومن الراغبين في تلقي العلم العربي بالمدارس العربية، ومن الباحثين لأنفسهم عن مكانة مرموقة داخل الدولة العربية. وهي سيادة مرتبطة بقوة الدولة، وبحجم إنتاجها العلمي. ويمكننا أن نصف الجوار بينهما في العصر العباسي بالجوار القلق.

لم يرتفع شأن العامية بشكل ملحوظ إلا بعد ضعف الدولة العباسية، وبداية عصر الدويلات، ثم سيطرة التتار على دار الخلافة، وما ترتب على ذلك من انتكاسات عسكرية وسياسية واقتصادية وعلمية، فقد سمح الضعف العام الذي أصاب أركان الدولة أن تكون العامية سيدة الموقف على حساب الفصحى التي حبست بين جدران المساجد، وداخل مؤلفات العلوم الشرعية. وازداد حضورها بعد أن أصبحت لغة إبداع أدبي. فقد ألف

بها كثيرون، مثل: أسود بن أبي كريمة، والفضل بن هاشم.

وقوي هذا الحضور في الحقبة العثمانية؛ بسبب سعي العثمانيين الجهيد لأن تحل اللغة التركية محل اللغة العربية، فأغلقوا المدارس، وفرضوا اللغة التركية على ديوان الإنشاء، ما انعكس على اللغة العربية بالسلب، وبدأت تضعف في نفوس أبنائها، وتحل محلها العامية والتركية. وكتابات الجبرتي التي يصنفها البعض على أنها مرحلة راقية من مراحل الكتابة بالعربية بعد سنوات من التدني اللغوي والإبداعي، خير دليل على هذا الضعف. ويمكننا أن نصف الجوار في هذه الحقبة وما تلاها بجوار المشاكسات؛ فقد تحول وجود العامية بجوار الفصحى من وجود طبيعي إلى صراع تتحكم فيه عوامل غير لغوية.

وازداد هذا الحضور قوة في حقبة الاحتلال التي بدأت في نهايات القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، بعد أن أصبحت العامية سلاحا، يستخدمه المحتلون لتغيير العقلية العربية، وللقضاء على اللغة الفصيحة، الجامعة شمل أمة تسكن بين المحيط والخليج. وقد كان لسعيهم – حتى بعد رحيلهم – نتائج سلبية على الفصحى، فظهرت عاميات كثيرة بلا أواصر قربى مع الفصحى، حافلة بمفردات إنجليزية وفرنسية وإيطالية وإسبانية وهندية وأردية، وأصبحت لها السيادة الشعبية، واستخدمت لغة للإبداع الذي خصصت له جوائز فاقت قيمتها عشرات المرات ما يخصص للإبداع باللغة الفصحى، وخصص لأصحابها أكبر المساحات في الصحف والمجلات الحكومية لعرض رؤاهم الهشة وأفكارهم المعادية لكل ما هو فصيح، وفُرضوا على البرامج الإذاعية والتلفازية والمنابر الثقافية؛ لجذب الأنظار إلى هذه اللغة ومنحها صك الوجود الشرعي.

لكنها -في رأيي- سيادة هشة؛ فالعامية السودانية، والعامية المغربية، والعامية الشامية، والعامية الخليجية، وحتى العامية المصرية العظيمة الانتشار داخل الوطن العربي وخارجه، لا تحقق التواصل التام بين أبناء الوطن العربي في العديد من المواقف، ويضطر أصحابها إلى البحث في مخزونهم اللغوي عن مفردات فصيحة تساعدهم على إنجاز تواصلهم، كما أنها لم تستطع أن تفرض نفسها على المكاتبات الرسمية التي مازال أنصار العامية يكتبونها بالعربية الفصيحة، أو شبه الفصيحة، ولم تستطع فرض نفسها على الخطاب الديني الذي يحرص أصحابه على أن تكون لغتهم فصيحة أو شبيهة بالفصيحة، ولم تستطع كذلك فرض نفسها على لغة المؤلفات العلمية، ومنها مؤلفات دعاة العامية أنفسهم، فسلامة موسى كتب كتابه «البلاغة العصرية واللغة العربية» بلغة فصيحة رائقة، وكذلك فعل سعيد عقل في جل كتاباته. وهي مفارقة عجيبة في كتابات دعاة استبدال العامية بالفصحى في وطننا العربي، كما أنها لم تستطع جذب أنظار أبناء المحتلين الذين سعوا ويسعون إلى تعلم العربية الفصحى، ولم يسعوا إلى تعلم العامية، للتعرف على الشرق العربي الإسلامي، ومدارس تعليم العربية في أوروبا وأميركا خير دليل على ذلك.

الواقع اللغوي يقول: لن تختفي العاميات العربية ولن تخضع الفصحى لها، سيظل صراع السيادة بينهما متأججا مادام هناك استعمار ثقافي هدفه القضاء على اللغة الفصحى ليس لأنها لغة تواصل، بل لأنها لغة دين يزداد انتشاره يوما بعد يوم، ولأنها لغة تراث ثري، هو سبب الحضور العربي على خريطة الوجود الإنساني.

إن ما نحتاج إليه هو الاهتمام بالفصحى لغة للتواصل اليومي، ولن يتحقق ذلك إلا بمنح الممارسة اللغوية المساحة ذاتها الممنوحة لتعليم اللغة داخل قاعات الدرس، وإلى تهذيب العاميات والسعي إلى ضخ الكثير من المفردات الفصيحة في جسدها، حتى تقترب من الفصحى، في هذه الحالة فقط ستذوب العامية في الفصحى، ويصبح لنا مستوى لغوي واحد يستخدم على المستوى الرسمي والشعبي، أو مستويان متقاربان. والأمران يحتاجان إلى مشروع وطني تسانده الحكومات، والسياسات التعليمية، وأجهزة الإعلام، وقبل ذلك القناعة الشعبية بأهمية هذه اللغة الفصيحة.

الهوامش

١- عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والجديد، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ص:٢١٤.

٢- سوف استخدم مصطلح اللغة العامية، مع أنه غير دقيق؛ فاللغة لا بد أن تكون خاضعة لقواعد نطق وكتابة، والعامية رافضة لهذه القواعد.

٣- لا يمكن النظر إلى العاميات على أنها لهجات؛ فاللهجات العربية مجرد انحراف صوتي عن اللغة الفصحى.

٤- ابن رشيق القيرواني: العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل للنشر، بيروت، ط (٥)، ج (١)، ١٩٨١، ص٦٧.

٥- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١، القاهرة، ١٣٣١هـ، ص١٦٨.

٦- اللحن لا يكمن في الخطأ الإعرابي فقط، بل يتجاوزه على استخدام المفردات الدارجة وغير العربية.

عمرو طه
قاص

لم تتجاوز أختي عمر السادسة عشر من عمرها حينما ماتت، إلا أن أمي وبينما نتناول الحساء في صمت، قالت لي تلك العبارة: اليوم تتم أختك عامها الخمسين.

إكتور آباد

لست حزيناً لأنك كذبت عليَّ، بل أنا حزين لأنني لن أستطيع تصديقك بعد الآن.

نيتشه

إن الإنسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد، وإنما هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته إياها المطامع البشرية، فإن ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه.

المنفلوطي

قليلٌ من العلم مع العمل به، أنفع من كثير من العلم مع قِلة العمل به.

أفلاطون

كيف يقوم إنسان بفرض سلطته على إنسان آخر يا ونستون؟
فكّر ونستون ثم قال: بأن يجعله يُعاني.

جورج أورويل

إذا استطعت أن تخدع إنساناً؛ فهذا لا يعني أنه أحمق، ولكن يعني أنه وثق بك أكثر مما تستحق.

تشارلز بوكوفسكي

منيرة الفرتاج
كاتبة وقاصة

بيت العرب

على خريطة العالم بلاد متفرقة تفصلها خطوط ترسم حدودها الجغرافية، لكنها في الوجدان بيت واحد، هذه الأراضي العربية قلبها نابض بالعروبة، وشرايينها تمتد من الخليج إلى المحيط، تحمل دم التاريخ المشترك والمصير الواحد، ومن بين تلك القلوب التي خفقت بحب العروبة كانت دولة الكويت، تلك الدولة الصغيرة بمساحتها، الكبيرة بمواقفها، التي ما لبثت أن استقلت عام ١٩٦١م حتى مدت يدها إلى إخوتها العرب، فانضمت إلى جامعة الدول العربية في ٢٠ يوليو من العام نفسه، فقد كان انضمامها إلى جامعة الدول العربية لحظة مفصلية، لا في تاريخها فحسب، بل في ذاكرة العروبة ذاتها، فلم يكن الأمر توقيعا على ورق، بل إعلان ولاء وانتماء، بأن الكويت نبض من نبض الأمة، وفرع من جذع اسمه العروبة.

في وقت كانت فيه رياح التهديد تعصف باستقلالها، أصدرت الجامعة العربية في الـ ٢٠ يوليو قرارا بقبول الكويت في الجامعة، ومع قبول طلب انضمام الكويت، قال الأمين العام للجامعة العربية للشؤون السياسية حينذاك د. سيد نوفل: «إن الكويت في الواقع تمارس مظاهر العضوية الكاملة في الجامعة العربية منذ وقت بعيد، سواء في الميادين السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية»[1] فمدت الجامعة العربية ذراعها للكويت شقيقة تعود إلى حضن شقيقتها، وكان الموقف العربي يومها أشبه بسور من الكرامة يلتف حولها ليقول للعالم: «هنا، لا يؤخذ شبر دون أن تدافع عنه أمة».

لدولة الكويت مواقف خالدة في التاريخ ومحفوظة في قلوب العرب، فقد كانت هذه الأرض الطيبة بصمة خير في كل دار من ديار شقيقاتها العرب، وترى آثار عطائها في كل أمة احتاجت إليها، مغيثة كل من استغاث بها، فترى ظلال يدها ممدودة لشقيقاتها في شتى المجالات من طب وتعليم وغيرها من المساعدات الأخرى.

ومن بين شتى الميادين التي كان للكويت فيها مواقف راسخة تألق دورها الثقافي بوصفه خيارا استراتيجيا، فحملت راية الثقافة مدركة أن الأوطان لا تبنى بالحجر وحده، بل بالإنسان الذي يحمل الوعي قبل السلاح، ويحفظ هويته قبل الحدود، فالبناء الحقيقي

يبدأ من الكلمة، وأن رفعة البلاد لا تكون إلا بأبنائها إذ تسلحوا بالمعرفة، فاختارت أن تكون صوت العقل العربي، ممهدة بذلك طريقا طويلا من العطاء الفكري الذي لا يزال يثمر حتى اليوم.

الكويت كانت ولازالت عاصمة الثقافة، ومنبر العلم والعلماء، وقد بادرت بصناعة محتوى ثقافي فانطلقت منها مجلة «الوعي الإسلامي» لتفتح نافذة على الفكر الديني المستنير، «جاءت مجلة الوعي الإسلامي لتكون انعكاسا لرؤية الكويت الحضارية، التي جمعت بين التقدم والتمسك بالهوية الإسلامية، فأصبحت المجلة منصة فكرية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتقدم محتوى يجمع بين العمق العلمي والسلاسة في الطرح. وهي بذلك تؤدي دورا مهما في نشر الفكر الإسلامي المستنير، وتعزيز الحوار الثقافي بين الشعوب، والتصدي لمحاولات التشويه التي يتعرض لها الإسلام من بعض الجهات التي إما تجهل حقيقته أو تتعمد تحريف رسالته»[٢]، وتقدم الإسلام بروحه الرحبة ووسطيته، بلغة تليق بعقول تبحث عن الإيمان والمعرفة في آن واحد، ومجلة العربي حاملة النور في صفحاتها، جائلة في أروقة الفكر والأدب والتاريخ، تنسج خيوط الانتماء العربي بحروف راقية ومعان عميقة.

بعد انضمامها للجامعة، سارعت الكويت لإنشاء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام ١٩٧٣م، وهو من أوائل المؤسسات الثقافية الرسمية المنظمة في العالم العربي ليكون منصة تجمع الأصوات العربية تحت سقف واحد، وتفتح أبوابها لكل مبدع عربي يبحث عن فضاء حر، وقد دعمت اللغة العربية لا بالشعارات، بل بالفعل والعمل، فكانت مشاريعها الثقافية امتدادا لحبها للحرف، وحرصها على حفظ التراث العربي من النسيان والتهميش، فحرص هذا المجلس على تنظيم مهرجانات ثقافية عربية جمعت مفكرين من كل الدول العربية، ودعم الترجمة والنشر والتأليف العربي، وتبنى سلسلة «عالم المعرفة» التي وصلت إلى كل بيت عربي تقريبا، وبالتالي حولت الكويت العمل الثقافي العربي من جهود فردية إلى مشروع مؤسسي مستمر ومفتوح لكل العرب.

في كل مهرجان، وكل فعالية، وكل مطبوع، كانت الكويت تردد بأن الثقافة هي الروح التي تبقي جسد الأمة حيا. ففي حضنها، وجد كثير من المبدعين العرب وطنا ثانيا، وملاذا آمنا، ومساحة تليق بالحلم. وهكذا، لم تكن الكويت مجرد دولة على خريطة السياسة، بل بوصلة ثقافية تسعى إلى لم الشمل العربي، لا بخطب السياسة فحسب، بل بصوت الشعر، والكتاب، والفكر النير.

وفي زمن تتكاثر فيه التحديات وتختلف فيه الانتماءات، تبقى الحاجة ملحة إلى صوت العقل والوحدة، إلى يد تمتد لتصافح الشقيق وتبني الجسور من جديد، من هنا، تأتي دعوة الكويت الصادقة للحفاظ على وحدة الصف العربي، وتعزيز التعاون الثقافي بين الدول، إيمانا منها بأن ما يجمعنا من اللغة والتاريخ والمصير، أكبر من كل ما يفرقنا.

وهكذا تمضي الكويت، كما كانت دوما، وفية لدورها الثقافي، ماضية في رسالتها التي لا تنطفئ، تزرع الكلمة، وتحتضن الفكر، وتفتح أبوابها لكل صوت عربي صادق، لم تكن الثقافة يوما فصلا عابرا في تاريخها، بل جوهرا ثابتا في رؤيتها، وجزءا لا يتجزأ من هويتها الوطنية والعربية، وإذ نحيي ذكرى انضمامها إلى جامعة الدول العربية، فإننا لا نستذكر الماضي حنينا له فقط، بل نستحضره بوصفه وعدا للمستقبل، المستقبل الذي تبنيه الكويت بملامح عربية وجوهر إنساني نابض بالمعرفة، ومفتوح على الغد بكل ما فيه من أمل.

مراجع

١- جريدة الأنباء الكويتية.
٢- مجلة «الوعي الإسلامي»، عدد ٧١٨، مقال نور على نور.

جمال السيد محمد
طبيب واستشاري علاقات أسرية

الممارسات الأسرية الخاطئة وسبل علاجها

العلاقات الأسرية تتطلب المودة والرحمة خصوصا بين الزوجين، وعليها تترتب القوة والمتانة في العلاقات لا التنافر بين الزوجين، والدين الإسلامي أرسى منظومة قيمية أخلاقية عملية لبناء علاقات أسرية متماسكة، وعلى الرغم من ذلك يعاني المجتمع من تفشي الخلافات والممارسات الخاطئة بين الزوجين والتي تتنوع أسبابها، ومنها: سوء اختيار شريك الحياة، الاختلاف في نمط الشخصية بين الزوجين، أو الخلل في أسلوب التعامل الذي يقوم على القسوة لا المودة والرحمة، وقد يرجع السبب إلى عدم الالتزام بأسس الشريعة الإسلامية في بناء العلاقات الزوجية، والجهل بتعاليم الإسلام في الزواج، بينما في أحيان أخرى يكون السبب نفسيا بسبب عدم احتواء الزوجين بعضهما لبعض.

وهناك عوامل تزكي هذه السلوكيات

الخاطئة وتؤججها ومنها: إفراط الزوجة في الاهتمام بالأبناء والتقصير في تلبية احتياجات الزوج، أو استغراق الزوج في العمل وإهماله إشباع متطلبات الزوجة، وكذلك وجود تدخلات من الأهل والأصدقاء في حياة الزوجين ما من شأنه أن يفسد هناء الأسرة ويعكر صفوها، ومن العوامل أيضا قيام أحد الزوجين أو كليهما بمقارنة الطرف الآخر بآخرين مما يفسد الجو العام بين الزوجين، والتصرف بأنانية من أحد الزوجين وعدم الالتفات إلا لتحقيق رغباته، ومن أشهر المشكلات السلوكية بين الزوجين: سوء التواصل، العنف، التدخل في الحياة الزوجية.

سوء التواصل بين الزوجين

لعل أكثر المشكلات في مجتمعنا هي انعدام ثقافة الحوار، والمقصود بثقافة الحوار هو وجود تفاعل بين الزوجين قائم على المناقشة فيما يخص الأسرة، وما يطرأ عليها من تغيرات، وما يعصف بها من مشكلات، والقيام بتبادل الأفكار، واقتراح الحلول في جو أسري يسوده التآلف والتواصل.

فالتواصل الفعال هو قدرة ومهارة تجنب الزوجين الصراعات، وغالبا ما تحدث المشكلات بسبب التواصل السيئ الذي يؤدي إلى سوء الفهم، فقد يفتقر أحد الزوجين إلى القدرة على التعبير الصحيح المباشر عما يجيش في صدره من عواطف وانفعالات ورغبات وبالتالي يستقبل الطرف الآخر رسالة مشوشة، وتكون استجابته قاصرة ومحدودة، وبجانب مشكلة سوء التعبير توجد معضلة عدم الإنصات الجيد إلى الطرف الآخر، ومقاطعته وعدم منحه الفرصة للتعبير عما بداخله، كما يفتقر الكثير من الأزواج إلى استخدام اللغة المهذبة الرقيقة التي تتضمن العبارات الجميلة المحببة إلى النفس مثل: «شكرا»، «من فضلك»، «بارك الله فيك»، وعدم استخدام عبارات الثناء والمدح التي تكسر جفاف الحياة وتغمرها بالدفء والحب.

العنف

واحدة من المشكلات المتجذرة في جميع المجتمعات البشرية على اختلافها وتفاقم بين الأزواج، ولكل حالة أسبابها، ومن أهم الأسباب الباعثة على العنف: ضعف الوازع الديني، وسوء التربية، والنشأة في بيئة تتسم بالعنف، وعدم وجود توافق بين الزوجين، وقد يرجع السبب إلى سوء الظروف المعيشية الضاغطة كالفقر والبطالة، وإلى اتصاف أحد الزوجين بالعناد والتسلط، أو تدخل الأهل في شؤون الزوجين، والعادات والتقاليد المغلوطة، وجهل الزوجين بالزواج كمنظومة لها مبادئ وفيها حقوق وواجبات.

ومن أنواعه: العنف الجسدي كالضرب والصفع وأي ممارسات فيها إيذاء بدني للطرف الآخر، والعنف النفسي الذي يكون في صورة تحقير وإهانة وعدم تقدير للطرف الآخر وإلقاء اللوم عليه، وتحميله مسؤولية الفشل الأسري.

التدخل في الحياة الزوجية

إن الحياة الزوجية مقدسة، وإفشاء الأسرار الزوجية، وإقحام أطراف خارجية بين الزوجين لحل مشكلاتهما لا يؤتي ثماره المرجوة؛ لأن الأطراف الخارجية غير مؤهلين لحل المشكلات الزوجية، وتكون أحكامهم منقوصة وغير منصفة مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة، وشعور أحد الزوجين بأن حياته أصبحت مستباحة، مما يؤدي إلى الطلاق كنتيجة لهذا التدخل.

علاج الممارسات الخاطئة

لقد علمنا الله ورسوله في القرآن والسنة كيف نحسن العشرة، فالإنسان كائن يميل إلى الحديث وتهفو نفسه إلى سماع الكلام الطيب، فهو مفطور على ذلك يقول عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، ومن حسن العشرة التبسم والتلطف، وأيضا التنزه مع الزوجات، فكان النبي يخرج للسير مع زوجاته ليلا، ومن حسن العشرة مساعدة الزوجة في أعباء المنزل ومشاركتها فيها كما كان يفعل النبي، وكذلك التجاوز عن أخطاء الآخر واحترامه، وتوقيره أمام الناس.

وحث الإسلام على حسن التواصل بين الزوجين واستعمال الكلام الطيب والمعاملة الحسنة، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩).

وقد أوصى النبي في خطبة الوداع بالرفق مع النساء بقوله: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (رواه مسلم).

علي سلطان السيد
باحث دراسات إسلامية

لماذا؟

لماذا صار المسلمون لحما على وضم[1]؟

لماذا هتكت الأعراض وشرد الأطفال وقتل الشباب.... وصار الأمل سرابا؟

لماذا سالت دماؤنا أنهارا؟

لماذا صار المسلمون كالأيتام على موائد اللئام؟

لماذا تجرأ علينا الأقزام، وصار الليث كبشا يرعى مع الأغنام؟

لماذا.. نصحو على عزف الرصاص كأننا زرع وغارات العدو حصاد[2].

طوفان من التساؤلات... تفيض به نفوسنا أسى وحسرة على هذا الواقع الأليم الذي خيم على ديار المسلمين.

تعال معي - أخي - نتلمس مواطن العلل ومواضع الخلل الذي أصاب الأمة لنصل - بعون الله - إلى العلاج الناجع والدواء النافع.

لنتأمل قول رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم كغثاء السيل، ولينزعن الله من

صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[٣].

لكأن رسول الله ﷺ يعيش بين أظهرنا ويعاين حال الأمة عن كثب.. فما أخبر به ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا صار واقعا لا ريب فيه.

فلقد تداعت علينا الأمم من كل حدب وصوب، وداسوا خلافاتهم بالأقدام، وصاروا صفا واحدا في مواجهة الإسلام.

وثمة سؤال يتبادر إلى الذهن مفاده:

لماذا تجرأ علينا الأعداء وصرنا «قصعة» مستباحة للآكلين؟

وهذا هو نفس سؤال الصحابي الجليل لرسول الله ﷺ وتعجبه حين قال: «ومن قلة نحن يومئذ»؟ لعمري... إن هذا الصحابي الجليل قد تمعر وجهه لله.. وامتلأ غيظا وحنقا.. من هذا الواقع المذري لـ «القصعة» المترامية الأطراف... المليئة بالخيرات... ولكن لا حارس لها يذب عنها، لذا صارت مطمعا ومغنما سهلا، وصدق من قال:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي مربض المستنفر الحامي[٤].

فمجرد امتلاك القوة والتلويح بها فيه ردع للأعداء، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:٦٠).

ويزداد تعجب الصحابي السائل - ونحن معه - من جواب النبي ﷺ حين قال: «بل أنتم يومئذ كثير»..... كثيييييير!

فلماذا لم يتحرك «واحد» من هذه الكثرة ليدفع عن هذه «القصعة المستباحة» ويبتر الأيدي الطائشة فيها؟

فيبدد جواب النبي ﷺ سحب تعجبنا، بقوله إن هذه «الكثرة» لا طائل من ورائها، ولا وزن لها، لأنها كـ «غثاء السيل» زبد ووسخ وأعواد، تتقاذفه الأمواج، أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

وهنا ملمح لطيف... وهو أن النبي ﷺ يدعو إلى «الكثرة» في عدد المسلمين ويباهي بها... فلم ذم الكثرة هنا؟

ظني... أن الكثرة المذمومة هي تلك الكثرة الكمية (كم) الغوغائية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وإنما الكثرة المطلوبة هي الكثرة الفاعلة المتسلحة بالعلم المؤهلة لحمل هذا الدين.

يوالي النبي ﷺ تشخيص أدواء الأمة، ليضع يده الشريفة على الداء الدفين الذي نزع عن الأمة مهابتها، وجعلها كلأ مباحا فقال: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم» لا يخافون منا ولا يحسبون لنا حسابا، فالأمة في نظرهم «تيم» التي قيل فيها:

فإنك إن رأيت عبيد تيم
وتيما قلت أيهم العبيد؟
ويقضي الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأمرون وهم شهود[٥].

سبحان الملك... ما سر هذا الاستخفاف؟!

يجيء جواب الصادق ﷺ فيقول: «وليقذفن في قلوبكم الوهن» أي: الضعف والخور..

«وهن» في العبادات... «وهن» في طلب الآخرة وعمل الصاحات... «وهن» في الذب عن المقدسات.

فما سر هذا «الوهن» يارسول الله؟!

فقال ﷺ: «حب الدنيا وكراهية الموت»، وهما متلازمان فمن أحب الدنيا كره الموت، وهما أس البلاء وأساس الشقاء، والحب والكراهية محركان قويان للفعل والترك.

ولا يفهم من هذا أن «حب الدنيا» منقصة أو رجس من عمل الشيطان، وإنما جاء النكير على أولئك الذين غلبت الدنيا على قلوبهم حتى نسوا الآخرة، ونسوا الغاية الكبرى والمهمة العظمى التي خلقوا من أجلها وهي حمل هذا الدين والتسلح بالعلم النافع، وصدق الصديق رضي الله عنه حين قال: «احرص على الموت توهب لك الحياة».

الهوامش

١- مقولة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلها: «إن النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه».

٢- من قصيدة «عندما يعزف الرصاص» لعبدالرحمن العشماوي.

٣- رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥) (٢٢٤٥٠)، جود إسناده الهيثمي في (مجمع الزوائد (٢٩٠/٧)، وقال ابن باز في (مجموع الفتاوى (١٠٦/٥): إسناده حسن، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود (٤٢٩٧).

٤- هذا البيت للنابغة الذبياني.

٥- من قصيدة «ألا زارت وأهل منى هجود»: جرير.

سؤال عن الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wa'i AL-Islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

أحمد السيد الهنداوي
كاتب ومصمم برامج علمية

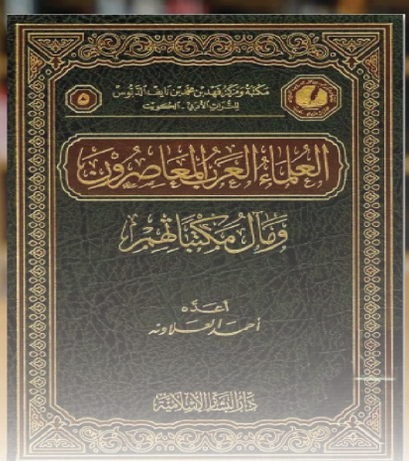

مكتبات الأعلام الراحلين بين الهدر والاستثمار

من طالع في تراجم المعاصرين من العلماء والأعلام وتتبع سير حياتهم رأى تكرار المصائر المؤلمة لكثير من مكتبات هؤلاء الأعلام الشخصية وتعرض كثير منها للضياع والإهمال والهدر، إلا أن يكون من أبناء هؤلاء الأعلام من يهتم بالعلم، وهو عزيز نادر، وربما يكون من حسن الحظ أن تُنقل إلى إحدى مكتبات الجامعات أو المكتبات الحكومية أو دور الكتب، أو توضع في المخازن، وهو وإن كان مصيرا أفضل من الضياع، إلا أنه يحول دون الاستفادة منها.

وقد كان الأستاذ البحاثة المؤرخ أحمد العلاونة ممن انتبه إلى هذا الموضوع وألف فيه كتابا سماه «العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم»، وقد تتبع فيه طائفة من العلماء والمثقفين وبين ما آلت إليه مكتباتهم -وإن كان تحفظ في ذكر المآلات المؤلمة لمكتبات بعض هؤلاء الأعلام- وهم كثر للأسف..

ولكن كيف يمكن تجنب هذه المآلات المؤلمة التي تثير الأسى والألم في نفس كل محب للعلم؟

أصبح مصير المكتبات الشخصية لكثير من العلماء هاجسا يشغل بالهم مخافة أن تضيع هذه المكتبات التي جمعوها على مدار السنين بالمال والجهد والدموع.

والحق أنه ينبغي الاعتراف أن العصر الحديث قد شهد طفرة واسعة في وجود المؤسسات والمكتبات العامة ومكتبات الجامعات التي يوصي كثير من الأعلام بمكتباتهم لها، ولكن إلى أي مدى يحقق احتفاظ هذه المؤسسات بمكتبات الأعلام الغاية المثلى التي يفترض أنها نقلت إليها من أجله؟ وفي حين أن محتويات هذه المكتبات تنقل إلى مكتبات الجامعات أو المكتبات العامة أو المراكز الثقافية، لكنها في كثير من الوقت توزع على المخازن أو تتوارى في أركان خاصة دون أن تكون متاحة للاطلاع عليها والاستفادة منها، مع ما تحتويه أحيانا من نسخ نادرة ومصنفات ومراجع عليها تعليقات المقتني مما يضفي عليها قيمة كبيرة، فضلا عن أن الأمور البيروقراطية والإجراءات وعدم وعي العاملين في هذه المؤسسات قد يحول كثيرا دون الاستفادة من بعض محتويات هذه المكتبات، فضلا عن سوء التخزين الذي قد يؤدي إلى فساد هذه المحتويات أو ضياعها أو العبث بها مما يفوت فرصا كثيرة لإمكان الاستفادة بشكل أفضل من هذا التراث.. فكثير من مكتبات الأعلام تحوي

أوراقا تتعلق ببعض الأبحاث العلمية ومسودات الأعمال والتحقيقات والتقارير العلمية التي ربما لم يسعفهم الوقت لإتمامها أو أتموها ولم يبيضوها أو أنهوها ولم ينشروها، وفي بعضها تعليقات لهم على بعض ما اقتنوه من كتب في تخصصهم العلمي أو غير تخصصهم، كما أنها قد تشمل إهداءات من أعلام آخرين على صفحات هذه الكتب وهي أمور تفيد في إعطاء صورة أوضح عن بعض الصلات بين هؤلاء الأعلام، وخاصة الذين لم ينالوا حظا وافرا من الشهرة وتسليط الضوء عليهم، كما أن هذه المكتبات تشمل مراسلات وصورا شخصية وأعدادا من دوريات قديمة لم يعد الكثير متاحا منها في الوقت الحالي.

فلماذا لا نفكر في حلول من أجل تجنيب هذه المكتبات هذه المآلات ونجنب كثيرا من الأعلام مشاعر القلق والحيرة حين يفكرون في أمر مكتباتهم، وهي عند الكثير منهم بمنزلة الولد حقيقة لا مجازا؟!

أما الاستثمار الأمثل لهذه المكتبات فنقترح لأجله إنشاء مؤسسات وقفية يقوم عليها علماء من أهل الاطلاع وأصحاب الخبرات الفنية والإدارية في تنظيم عمل المكتبات، إضافة إلى الكتبيين الثقات المعلوم معرفتهم الجيدة بهذا الشأن، على أن يرصد لهذه المؤسسات ما يرصد للجمعيات الخيرية من دعم وموارد، فضلا عن فتح الباب لمن يريد دعمها من أهل العلم والخير بالكتب أو غير ذلك، وبعد أن توفر لها المقرات ويشكل من يشرف على العمل بها يقترح أن توزع مسارات العمل بها على الآتي:

- لجان للعمل الفني الداخلي.
- لجان للعمل الإداري الداخلي والخارجي.
- لجان للتواصل مع الأعلام الذين عرف عنهم رغبة في التبرع بمكتباتهم.
- لجان للتواصل مع الأعلام المرجو منهم دعم هذه المشاريع بالأفكار والسبل المختلفة.
- لجان لدعم هذه المشاريع بشكل دعائي متزن ودون بهرجة.

أما عمل القسم الفني فيقترح أن يتعامل مع محتويات المكتبات الواردة بشكل احترافي كما يراه من زار مقرات كثير من المكتبات العالمية في الغرب.. بل في بعض بلاد المشرق دون أن يقتصر على إبراز الكتب والمطبوعات وحسب ويقترح التالي بشأنه:

- أن يعنى قسم من الخبراء بفرز نوادر المخطوطات القديمة من مكتبات الأعلام، وأن يهتم قسم آخر بفرز الطبعات النادرة القديمة التي مضى عليها أكثر من قرن من الزمان، مع فرز مسودات الأعمال التي نشرت أو لم تنشر من قبل هؤلاء الأعلام، وفرز المصنفات والكتب التي كتب عليها تعليقات من علماء متخصصين وتمثل قيمة علمية من الممكن أن يبنى عليها عمل لباحثين فيما بعد، وأنه يخصص قسم لمقتنيات الأعلام من الأقلام والمحابر والأغراض المكتبية والصور الشخصية ولوحات الخط المكتبية، وقسم يشمل الدوريات والمجلات العلمية القديمة والنادرة.

وأن يوضع نظام عمل من قبل الخبراء لتخصيص قاعات تحفظ هذه المقتنيات بطريقة تحافظ على إمكانية الاستفادة منها، مع إيجاد قاعدة بيانات إلكترونية تسهل من مهمة البحث عما يوجد في محتويات هذه المكتبات، مع تشكيل لجان للتواصل مع أعلام المثقفين والعلماء أصحاب المكتبات، ودعوتهم إلى رفد هذه المشاريع بما يمكنهم الاستغناء عنه من هذه المكتبات في حياتهم وتخطيط مستقبلها فيما بعد رحيلهم بحيث تطمئن قلوبهم إلى عدم ضياعها واستمرار الاستفادة منها.

والمهم هنا أن يكون هناك حرص على تجنب عيوب ومزالق تجارب المؤسسات العامة، وأن يتم الاعتناء باختيار العاملين في هذه المشاريع بأن يكونوا من العارفين بغرض المشروع المعنيين بهموم طلبة العلم والباحثين، وأن يكونوا شركاء في تأدية الرسالة وليسوا مجرد موظفين، ويتم هذا الأمر بحسن الاختيار من قبل الخبراء والقائمين على المكان، مع إكرام هؤلاء العاملين بالشكل الذي يجعلهم حريصين من منطلق ذاتي قبل كل شيء على إنجاح مسعى عمل المؤسسة وأداء الرسالة التي أقيمت لأجلها.

وكما كانت تجربة «مركز جمعة الماجد» في قطر تجربة فريدة يمكن الاحتذاء بها في هذا الباب، فإننا نأمل أن تكون هناك مؤسسات أهلية في كل بلد تسهيلا لعمل الباحثين الذين يهتمون بتراث علماء بلدانهم، فضلا عن السعي لتنظيم تعاون مع سائر المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ودور الكتب لعمل شبكة تختص بالتراث المتعلق بمكتبات الأعلام، تيسيرا على الباحثين وطلبة العلم والمثقفين.

د. محمد أحمد عزب
باحث أكاديمي

المهارات النادرة والعمل الخيري

أصبح حديث الوقف وما أداه للأمة مما امتلأت به الصفحات الطوال، وألف مؤلفون كثر عن دوره التنموي للحضارة التي صنعتها الأمة، وعمق ما أداه من خدمات جليلة عظيمة.

لقد خلت أمتنا في دواوينها من ديوان عام للتعليم؛ لأن الذي قام عليه كانت الأوقاف التي أوقفها المحسنون وأهل العطاء والمنح.

في صفحات كثيرة متتالية تتحدث المستشرقة الألمانية زيغريد هونجه (Sigrid Hunke) عن المشافي والبيمارستانات التي ملأت بقاع العالم الإسلامي قديما تخدم كل مريض، دون النظر إلى أي شيء آخر فيه، فالمرض وحده سبب كاف لأن يكون لصاحبه الحق في الحصول على الخدمة، ولم تكن خدمة عادية بل خدمة مدهشة، عليها نفقات ضخمة.

تتساءل المستشرقة قائلة: «ترى، من أين كان يؤتى بكل هذه الأموال؟ ألم يكن ثمة خطر أن يزداد المصروف على

المؤسسات الطبية فيتعدى حدود المعقول؟ فمستشفى المنصوري وحده كان يستهلك سنويا ما قيمته مليون درهم!».

ثم تجيب قائلة بعد استقصاء وبحث في بطون الكتب العربية: «كانت كل هذه الأموال تحصل من الأوقاف التي كانت تخصص للمستشفيات لدى تأسيسها»[1].

لقد قامت الأوقاف آنذاك -بل ولا تزال- بجهد مؤسسي فائق في الخدمة الصحية للمرضى.

العجز والكسل

من أكثر ما يثبط الإنسان عن فعل الخير أمران؛ واحد من داخله، وهو الكسل، وآخر قد يكون من خارجه وهو العجز، وقد استعاذ منهما النبي ﷺ، فكان من دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...(الحديث)»[2].

ويذكر أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان كثيرا ما يدعو بذلك.

وفي معنى الكسل يقول ابن الملقن هو: «ضعف الهمة، وإيثار الراحة للبدن على التعب. وإنما استعيذ منه؛ لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة للدنيا والآخرة»[3].

ويقول السيوطي: «العجز: عدم القدرة. والكسل: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله»[4]. هذان العائقان؛ العجز والكسل، من أكثر ما يصد المرء عن العمل التطوعي، مع غيرهما من الأسباب. ومما يذكر أن لقمان كان يوصي ابنه قائلا: «يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق»[5].

تطوع يتغلب على الكسل والعجز

لا يعدم الإنسان خيرا قط يقدمه لمن حوله من الناس، وما دام المرء متعلقا بالله تعالى، فإنه في حدود الممكن من القليل أو المتاح قد يبلغ بصاحبه عمل المكثرين، وربما تفوق عليه. ذكر كتاب السير هذه القصة الكاشفة للتغلب على العجز، قال ابن اسحاق: بلغني أن ابن يامين النضري لقي أبا ليلى وعبدالله بن مغفل، رضي الله عنهما، وهما يبكيان. فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه، وزودهما شيئا من تمر، فخرجا مع النبي ﷺ. وأما علبة بن زيد رضي الله عنه فخرج من الليل، فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس. فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدق هذه الليلة؟» فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدق، فليقم؟» فقام إليه، فأخبره. فقال رسول الله ﷺ «أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة»[6].

وهكذا لم يعدم علبة رضي الله عنه حيلة لفعل الخير، ولم يقف عند العجز ليتعلل به عن الوصول للمكرمات.

لقد ورد في الحديث «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[7]، وهكذا تتعدد الموارد التي يمكن للإنسان أن يتقي بها سوء المنقلب، وغضب الرحمن، ويدرك بفعل الخير بركة العمر.

باب الخير المتسع

إن فعل الخير ليس له حد، بل جاءت الآية تأمر بفعل الخير مطلقا، قال تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧)، وفي الحديث: عنه ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة»[8].

قال ابن حجر: في الحديث الحث على فعل الخير مهما أمكن وأن من قصد شيئا منها فتعسر فلينتقل إلى غيره[9].

فليس الخير مقصورا على مال يبذل، بل يشمل الجهد، والفكر، والمهارات، والصنائع، والمهن، بل يصل الأمر لأن يكون المعروف نصيحة يبذلها الإنسان لا يدري وقعها بعد حين.

مهارات نادرة في فعل الخير

يظن كثير من الناس أن فعل الخير يقف عند حدود المال، أو حدود النفس التي تبذل في سبيل الله، وما درى أن الإنسان ذو قدرات قد يتفوق بها على أرباب المال، حين حاولت الأحزاب كبس المدينة النبوية والدخول على الآمنين، استشار النبي ﷺ أصحابه، وكان من بينهم سلمان الفارسي ذلك الوافد الجديد على الإسلام، وإذ به يشير على النبي ﷺ بحفر الخندق، حتى عرفت

الغزوة بعد ذلك به، ولشرف وندرة وخطر ما قام به تنازع فيه المهاجرون والأنصار، قال ابن عبدالبر: قال المهاجرون يومئذ سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[10].

وفي ذات الغزوة يأتي نعيم بن مسعود إلى رسول الله مسلما، ويقول للنبي ﷺ: مرني بما شئت يا رسول الله، فوالله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له، قومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم. قال: ما استطعت أن تخذل الناس فخذل[11].

وكان من أمره أنه خوف الأحزاب بعضهم من بعض، حتى حل عقدهم، وجعلهم يتدابرون، حتى كان مآلهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ (الأحزاب:٢٥)، وهو من فعل الخير الذي لا يوازيه معروف، فقد يفعل رجل السلم ما لا يستطيعه مئات ممن يحملون السلاح، وذلك باستخدام قدراته الخاصة في التفكير والتدبير.

وهكذا في غزوة بدر كان موقف الحباب بن المنذر بن الجموح في إشارته الفارقة للنزول لموضع الحرب الأفضل.

ويلحق بذلك قصة سحب السفن على اليابسة في فتح القسطنطينية، وهي من القصص العظيمة في التفكير النادر للتخطيط والتدبير العسكري.

وفي هذا الإطار حول مهندسون مسلمون فكرة الهلال على مآذن المساجد من مجرد زينة تناطح السحاب، وتعلوها الطيور المهاجرة والمتوطنة، إلى علامة على القبلة، وجعلوا تجاويف الأهلة فوق المآذن لمن يصلي بعيدا عن المساجد دليلا على القبلة، وهكذا تحول العمل بالتفكير الهندسي من مجرد زينة بلا فائدة إلى علامة تعين على معرفة اتجاه القبلة لمن يصلون في الفيافي والأماكن النائية عن العامر من الديار والبلاد.

المهارات النادرة في مجال العمل التطوعي

المهارات النادرة هي تلك الخبرات أو القدرات التي لا تتوافر بسهولة لدى الجميع، والمهارات النادرة أشبه بالفكر العبقري، الذي يضع أبسط الحلول لأعقد المشاكل، بأقل التكاليف، في أقل الأزمنة. والتطوع بالمهارات النادرة ليس مجرد عمل خيري، بل هو استثمار في مستقبل أفضل، وتنمية مستدامة، فعندما يستخدم الأفراد مواهبهم وخبراتهم لتحسين حياة الآخرين، يخلقون تأثيرا يستمر لسنين طويلة، فالحلول التي يقدمها هؤلاء غالبا تكون إبداعية ومصممة لحل مشكلات معقدة، ويمكن لأصحاب المهارات التالية أن تكون لهم سهمة خير بالغة في العمل التطوعي:

- البحث العلمي وتحليل البيانات.
- الاستشارات القانونية المتخصصة.
- البرمجة وتطوير التطبيقات.

- الطب النادر، والجراحات التخصصية.
- التصميم الهندسي أو المعماري.

مهارات نادرة لها تأثير بالغ

لقد خدم متطوعون من أصحاب المهارات النادرة، من شتى أنحاء العالم الإسلامي، الأمة بالمئات من الأفكار، كرفع الكتب على المنصات الإلكترونية، وإتاحتها للقراء، ورفع المخطوطات كذلك، وحوسبة البرامج المعينة على البحث.

ولا تزال الأفكار تترى من شتى بقاع العالم الإسلامي بين الشباب لنفع الأمة.

إننا إذ نفتخر بتشييد مكتبة في القرن السادس أو السابع الهجري، ونعتبرها من جليل الأعمال، فإن رفع الكتب والمخطوطات في هذا الزمن لا يقل في النفع عن ذلك، وقد أتيح لجيلنا من الكتب ما لم يتح لكثير من علماء الإسلام على مدار التاريخ، وهذا بالتفكير العبقري لأصحاب المهارات النادرة.

في مجالات أخرى تستطيع فئات مهمشة الحصول على خدمات من أصحاب المهارات النادرة عز عليهم أن يطلبوها بالجهد الذاتي.

ولعل من النماذج العالمية في هذا الإطار قصة تطبيق: Be My Eyes.

وهو تطبيق تطوعي مبتكر يهدف إلى مساعدة المكفوفين وضعاف البصر في حياتهم اليومية من خلال ربطهم مع متطوعين مبصرين حول العالم باستخدام تقنية الفيديو المباشر.

هذا التطبيق يمكن المكفوفين من الحصول على المساعدة التي يحتاجونها في أي وقت وفي أي مكان حول العالم، فهو منصة للمكفوف ولمن يتطوع بمساعدته حول العالم.

وهكذا يعمل أصحاب التخصصات النادرة هذه الأفكار الرائدة لخدمة الإنسانية، فيصير أصحاب الحاجات جزءا من المجتمع، ويستطيعون قضاء حوائجهم بجهد بسيط يتحمله الناس حول العالم فتخف المعاناة ويشعِر ذوي الحاجات بأنهم غير مهملين.

فما أجمل أن يساعد رجل في الجزيرة العربية رجلا في الشمال الإفريقي عبر تلك المنصة، أو رجل في العراق آخر في شنقيط وهكذا. وهناك صعوبات قد تواجه أصحاب المهارات النادرة منها:

- نقص الموارد أو الدعم الفني.
- صعوبة الوصول إلى المناطق النائية.
- التوفيق بين العمل التطوعي والمهنة الأساسية.

ويمكن في سبيل ذلك أن يتم الآتي:

- إنشاء منصات رقمية تجمع أصحاب المهارات النادرة مع الجمعيات الخيرية.
- تقديم حوافز معنوية مثل شهادات شكر أو جوائز رمزية.

وأخيرا..

لا بد من تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية هذا النوع من التطوع، وأن ترعاه مؤسسات الوقف وتستقطبه لحل مشكلاتها العارضة، والمتوطنة إن وجدت، بأن تنظم مسابقات وترصد جوائز لأصحاب الحلول الإبداعية تجاه أمر ما هي بحاجة إليه، ربما تكون كلفته في الحلول التقليدية عالية، أو يصعب الوصول إلى حل له من الأصل، وبهذا تتم المشاركة المجتمعية والتلاحم بين الأفراد.

إن قيمة المرء ليس بكونه يحسب كل فعل وكل بذل وفق العوائد المالية الحاصلة منه، بل نظن أن الرأسمالية أو غيرها من النظريات التي تجعل المصلحة فوق كل اعتبار ما كان يمكن لها أن تنبت من بيئة مسلمة أهلها يتمثلون قوله تعالى: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان:٩).

فما دام لوجه الله فكل نفيس هو لوجه الله مبذول بكل حب ورضا.

الهوامش

١- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونجه، ص:٢٣١.
٢- متفق عليه.
٣- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (٤٣٣/١٧).
٤- التوضيح شرح الجامع الصحيح، (١٩٢٠/٥).
٥- البيان والتبيين، (٤٩/٢).
٦- ذكرها في دلائل النبوة، والروض الأنف، وزاد المعاد، وصححها الألباني.
٧- رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن.
٨- أخرجه البخاري.
٩- فتح الباري، لابن حجر (٤٤٨/١٠).
١٠- الدرر في اختصار المغازي والسير، ص:١٦٩.
١١- مغازي الواقدي، (٤٨٠/٢).

مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei ALeslami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما

خلف أحمد محمود أبوزيد
كاتب وباحث

فلسفة الترفيه في المنظور الإسلامي

طغت في الفترة الأخيرة مفردة الترفيه، وأصبحت تتردد كثيرا في قاموس حياتنا، حتى غدت مطلبا ملحا وضروريا في الحياة، فالجميع في هذا العصر المثقل بآلياته العلمية والتكنولوجية يبحث عن الترفيه، هربا من يوميات الآلة وضغوط الحياة ومتطلباتها المتزايدة، الأمر الذي صاحب ذلك تزايد الوسائل الترفيهية وتطورها، بل واستحداث الجديد منها، فأصبح لدى المجتمعات المعاصرة سيل منهمر من الوسائل الترفيهية، التي انطلق الإنسان معها باحثا عن الراحة والمتعة، رغبة في التخفيف من العناء والمشقة، وإذا كان البشر يتفاوتون حول نظرتهم للترفيه، فالبعض منهم جعله وسيلة لقتل الوقت، بالجلوس على المقاهي أو العكوف على الأجهزة الإلكترونية، أو بالخلود إلى ألوان غريبة من الترفيه، لا طائل منها إلا قتل الوقت، إلا أن المنظور الإسلامي لثقافة الترفيه يجعل منه «نشاطا هادفا وممتعا يمارس اختياريا بدافعية ذاتية، وبوسائل وأشكال عديدة مباحة شرعا، ويتم غالبا في أوقات الفراغ»[1]، وهذا ما نفهمه من فحوى حديث الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي من الذكر لصافحتكم الملائكة في فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (ثلاث مرات)» (رواه مسلم)، فالإسلام دين الفطرة ولا يتصور أن يتصادم مع الطبيعة البشرية والحاجات الفطرية للإنسان، فقد أجاز النشاط الترفيهي ورغب فيه بل وأوجد له العديد من الآثار الإيجابية المهمة التي تقود في النهاية إلى تجديد حياة الإنسان، ودفع الملل والسأم عن النفس.

النشاط الترفيهي وخصوصية المجتمع المسلم

ولكي يكون للنشاط الترفيهي دور فعال وفائدة كبرى على الإنسان، نجد أن ديننا الإسلامي جعله مرتبطا بخصوصية المجتمع، وتنبع هذه الخصوصية من روافد عدة أهمها وأبرزها الدين الذي يعتنقه ذلك المجتمع، وغالبا ما تتشكل عليه العديد من العادات والتقاليد والأعراف، التي تكونت على مدى آماد طويلة وأصبحت جزءا لا يتجزأ من كيان هذا المجتمع ونسيجه الخاص به، ومن هنا تعد الأنشطة الترفيهية التي يمارسها أفراد المجتمع في وقت الفراغ ظاهرة اجتماعية تتأثر كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى بقيم المجتمع العقائدية وثقافته ومبادئه وأفكاره وعاداته وتقاليده، والتي غالبا ما تكون هذه الأنشطة نابعة منها أو متأثرة بها، فلا يمكن أن تكون النشاطات الترفيهية والترويحية في أي مجتمع من المجتمعات بمعزل عن هذه الخصوصية التي تميز مجتمع عن آخر، خصوصا عند وضع الخطط للنشاطات الترفيهية أو رسم برامجها أو تصميم المنشآت التي تمارس فيها، حيث تؤكد العديد من الدراسات على ضرورة مراعاة خصوصية كل مجتمع وعدم التصادم معها عند التخطيط في هذا المجال، ذلك أننا عندما نراعي قيم المجتمع الذي نخطط برامجه الترفيهية، ونضع ذلك في اعتبارنا عند تصميم أماكن البرامج والأنشطة الترفيهية ونأخذ في الاعتبار العادات والقيم والأعراف السائدة في المجتمع، فإننا نضمن بذلك النجاح التام لها، ومما لاشك فيه أن مجتمعنا العربي المسلم يواجه سيلا من الأشكال والأساليب الترفيهية التي تعتمد على «النقل الحر لأنماط غريبة عن مجتمعاتنا الإسلامية، ودونما مراعاة لخصوصية المجتمعات، التي نقلت منها هذه البرامج الترويحية، أو التي نقلت إليها هذه البرامج، فقد يخفق البرنامج الترويحي نفسه الذي نجح نجاحا كبيرا في مجتمع آخر والعكس صحيح، وهذا يعود إلى التباين في المنطلقات العقائدية والخلفية الثقافية للمجتمعات المنقول منها أو المنقول إليها»[2]، هذا الأمر المهم الذي يحتم علينا وضع قواعد عامة وضوابط محددة تقاس عليها تلك النشاطات والبرامج الترفيهية، لمعرفة مدى مناسبتها للمجتمع المسلم من عدمه، وحتى يحقق هذا النشاط الترفيهي دوره كاملا ويحقق الثمار المرجوة منه، ينبغي مراعاة عدد من الضوابط الشرعية والأخلاقية العامة،

ويمكن لنا إيجازها فيما يلي:

أولا: ضوابط تتعلق بالنشاط الترفيهي نفسه

لابد قبل ممارسة النشاط الترفيهي، من التعرف على الحكم الشرعي منه، إذ توجد بعض الأنشطة الترفيهية، التي تتعارض مع الشرع، مثل النشاط الذي يصاحبه سخرية من الآخرين أو أذى أو لمز أو ترويع لهم، أو كذب وافتراء وما شابه ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الحجرات:١١).

وأيضا في حديث الرسول ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له» (رواه الترمذي)، وأيضا النشاطات والمسابقات القائمة على المراهنات وتحريض البعض على البعض.. إلى آخر ذلك من أنواع الأنشطة التي تتعارض مع الشرع وتأنفها الفطرة السليمة للإنسان.

ثانيا: ضوابط تتعلق بجماعة الترفيه

حيث إن معظم الأنشطة الترفيهية تمارس بشكل جماعي، فهذا يوجب وضع عدد من الضوابط التي تتعلق بتلك الجماعة التي يشاركها الفرد الأنشطة المختلفة، والتي من أهمها التأكيد على خيرية هذه الجماعة، فالرفقة السيئة كما هو معروف، لها دورها السلبي الذي لا ينكر، كما أرشدنا إلى ذلك الرسول ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أبو داود)، ويقودنا هذا أيضا إلى ضرورة التجانس بين أفراد جماعة الترفيه، ويقصد بالتجانس هنا التجانس العمري والثقافي والاجتماعي، ففي ذلك ضمان كبير للحصول على الفائدة من الترفيه.

ثالثا: ضوابط تتعلق بوقت الترفيه

وهذا أمر مهم، فيجب ألا يكون الترفيه في الوقت المخصص لحقوق الله أو حقوق الناس، فلا ممارسة ترفيه في أوقات الصلاة، لما فيه من اعتداء على حقوق الله عزوجل، ولا ترفيه أيضا في أوقات العمل الرسمي، إذ في ذلك اعتداء على حقوق الناس، هذا إلى جانب عدم الإفراط في تخصيص معظم الأوقات المباحة للترفيه، فالاعتدال والتوسط سمة أساسية في ديننا الحنيف.

رابعا: ضوابط تتعلق بمكان الترفيه

وهذا جانب مهم، يتطلب منا عدم إلحاق الأذى بمكان الترفيه أو منشآته، فأمكنة الترفيه والترويح حق مشترك بين جميع الناس، فمن أفسد على الناس أمكنة ترويحهم، فقد اعتدى عليهم، كما يجب عدم مضايقة المقيمين أو العابرين بمكان الترفيه، وهذا ينطبق على الخلاء والساحات العامة.

خامسا: ضوابط عامة

هذا إلى جانب مراعاة الأخلاق العامة، مثل تجنب الغضب والكلام البذيء والغش، ومثيرات التشاحن والعداوة، مع مراعاة

التنوع في الترفيه، فلا يركز على أحد الجوانب الترفيهية، دون الجوانب الأخرى، كما نحذر من التبعية وتقليد الآخرين في استجلاب أنماط ترفيهية لا تتناسب وتتوافق مع قيم مجتمعنا المسلم.

أخيرا

ولكي تؤتي هذه الضوابط ثمارها المرجوة، من نجاح وسائل الترفيه، وجعله قوة دفع لحياة الإنسان، فلابد من تضافر جهود عدة في ذلك، منها ما هو مسؤولية الفرد نفسه مثل تحقيق التوازن المطلوب بين النشاطات الترفيهية المتاحة، وكذلك اختيار الرفقة الصالحة لمشاركتها في العملية الترويحية، واختيار الوقت المناسب، وهناك ضوابط ينبغي أن تضطلع بها الأسرة، لتحقق دورها التربوي لتهذيب العملية الترفيهية في حياة أفرادها، وهناك بعض الضوابط التي لا يمكن أن تتم إلا بتدخل المؤسسات المختصة بالعملية الترفيهية والترويحية، مثل توفير الأماكن المأمونة للترويح، وتوفير الوسائل الترفيهية المناسبة لكل فئة عمرية، ولكل جنس، فما يناسب الذكور من النشاطات الترفيهية في الغالب لا يناسب الإناث والعكس، ففي ظل هذه الأسس والقواعد العامة، التي تكون إطارا عاما تدور حول محوره الأنشطة والبرامج الترفيهية التي يتم تخطيطها وتقديمها في المجتمع المسلم ولأفراده، نضمن نجاح البرامج الترفيهية، كما نضمن حسن استغلال الوقت وجعله ثروة تمتلكها الأمة ضمن ما تمتلكه من ثروات، أما بغير ذلك فسنجد أنفسنا في تخبطات يمارسها المخططون لبرامج ترويحية وترفيهية تعجز عن تلبية حاجات المجتمع المسلم وأفراده، فضلا عن الآثار السلبية التي سيجنيها المجتمع من ذلك، وإننا لو نظرنا إلى الممارسات الترويحية والترفيهية التي كان يجريها المسلمون في العهد الإسلامي الأول، فسنجد أنها كانت تستهدف تربية المسلم على الجد وتهيئة أفراد المجتمع لخدمة الإسلام من خلال النشاطات الترويحية التي لم يكن هدفها الترفيه لذاته، بل كانت هناك أهداف أخرى منها التدريب على المنازلة في الحرب وبناء الجسم والتودد إلى أفراد المجتمع المسلم وتحبيبهم في الإسلام، كل ذلك بهدف إعداد المؤمن القوي بدنيا ونفسيا واجتماعيا.

الهوامش

١- الترويح دوافعه وضوابطه، عبدالله ابن ناصر السدحان، كتاب المجلة العربية، العدد ٣٤، ص:٦.

٢- المصدر السابق، ص:٢٢.

حسن عباس
محرر صحفي

الهجرة النبوية..
أنموذجٌ مشرقٌ للأزمات المعاصرة

تمثل الهجرة النبوية الشريفة واحدة من أعظم محطات التحول في التاريخ الإسلامي، ليس فقط من حيث بعدها الزمني، بل لما تحمله من دلالات عميقة في مجالات العقيدة والاجتماع والسياسة والتخطيط المدني. إنها ليست حدثا عابرا وقع قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، بل مدرسة متكاملة لا تزال تزود الأمة بدروسها وإلهاماتها حتى اليوم.

ويمكننا أن نعيد قراءة الهجرة من زوايا متعددة، نتأمل معانيها، ونستلهم من وقائعها ما يصلح لمجتمعاتنا المعاصرة، خاصة في ظل تصاعد التحديات وتكاثر الأزمات.

من الاضطهاد إلى تأسيس الدولة

كانت الهجرة النبوية لحظة مفصلية غيرت مجرى الدعوة الإسلامية، فقد انتقل المسلمون بها من واقع الاستضعاف في مكة، حيث القمع والمطاردة، إلى فضاء جديد في المدينة المنورة حيث تأسس أول كيان سياسي واجتماعي إسلامي متماسك. فلم تكن المدينة مجرد ملاذ جغرافي، بل كانت نقطة انطلاق لمشروع حضاري متكامل.

ومن أبرز معالم هذا المشروع، بناء المسجد النبوي، الذي لم يكن فقط مكانا للصلاة، فقد شكل بناء المسجد أول لبنة في هذا الكيان الجديد، فكان مركزا للحكم والتشريع والتعليم والقضاء، مما يدل على أن الإسلام منذ نشأته جمع بين الروحانية والتنظيم المدني. كما تم إرساء نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، لخلق نسيج اجتماعي متماسك يلغي الفوارق القبلية والطبقية، ويؤسس لمجتمع قوامه العدالة والتضامن والتكافل.

وأبرم النبي ﷺ وثيقة المدينة، التي يمكن اعتبارها أول دستور مدني في الإسلام، ينظم العلاقة بين المسلمين واليهود وغيرهم من سكان المدينة، ويؤسس لمبدأ التعايش

السلمي رغم التعدد الديني والثقافي. وقد نجحت هذه الوثيقة في احتواء الخلافات، وتحديد الحقوق والواجبات، بما يعكس نضجا سياسيا سابقا لعصره.

التخطيط والأخذ بالأسباب

ما يثير الإعجاب في الهجرة النبوية ليس فقط نتائجها، بل الطريقة التي أديرت بها. فقد وضع النبي ﷺ مثالا خالدا في فن القيادة وإدارة الأزمات، إذ لم تكن هجرته ارتجالا، بل نتيجة لتخطيط استراتيجي امتد لسنوات.

عُرِض الإسلام على قبائل خارج مكة، ووجد من الأنصار صدرا رحبا وقبولا، فكانت بيعة العقبة الأولى والثانية بمثابة التأسيس الفعلي لدولة المستقبل. كما أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، لتهيئتهم نفسيا وفكريا لفكرة الانتقال وتجاوز المحن.

ورغم أن النبي ﷺ كان مؤيدا بالوحي، إلا أنه لم يغفل سنن الله في الأخذ بالأسباب، فاختار أبا بكر الصديق رفيقا للهجرة، وكلف عبدالله بن أبي بكر برصد أخبار قريش، وأسماء بنت أبي بكر بتوصيل الطعام والمؤن، واستأجر عبدالله بن أريقط كدليل ماهر للطريق، واتخذ الغار مخبأ مؤقتا لحماية المسار.

وهذا التخطيط المحكم يعلمنا أن الثقة بالله لا تعني إهمال الأسباب، بل الاتكال على الله مع بذل الجهد، وهي قاعدة ذهبية في التعامل مع الأزمات، لاسيما في عالم اليوم الذي يحتاج إلى وعي وتحليل وحسن تدبير في مواجهة الجوائح والكوارث والأزمات الاقتصادية والسياسية.

الهجرة المعنوية والهوية الإسلامية

من دروس الهجرة الخالدة، أنها لم تكن مجرد انتقال مكاني، بل هجرة سلوكية وقيمية. فقد قال النبي ﷺ: «المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»[1]، وقال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكنه جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»[2]، وهو توجيه صريح لفهم الهجرة كتحول داخلي، وتطهر من الذنوب، واستقامة على طريق الطاعة، لاسيما في مواسم التغيير كاستقبال عام هجري جديد، حيث يجب أن يصاحب التغيير الزمني تغييرا في الوعي والنية والسلوك.

واقتران الهجرة بالتقويم الهجري لم يكن عبثا، فقد اقترح عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تجعل الهجرة بداية للتأريخ الإسلامي، لأنها كانت لحظة فارقة فرق الله فيها بين الحق والباطل، وبه بدأت الأمة مرحلة التمكين. وهذا التقويم ليس اختراعا بشريا، بل هو توقيفي، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (التوبة: ٣٦).

وربطت الشريعة الإسلامية عددا من أركان الدين بهذا التقويم، مثل الصيام، والحج، والزكاة، والعدة، والكفارات، مما يعزز دوره في ترسيخ الهوية الإسلامية، ورغم أن كثيرا من المسلمين اليوم يعتمدون على التقويم الميلادي في شؤونهم، إلا أن العودة للاعتزاز بالتقويم الهجري هو جزء من العودة إلى الذات الحضارية للأمة.

دور المرأة وحضورها المؤثر

ولا يمكن إغفال دور المرأة في الهجرة، فقد أدَّت المرأة دورا حيويا في إنجاح الهجرة، كما جسدته أسماء وعائشة رضي الله عنهما، تحملتا المسؤولية، وواجهتا التهديد بثبات، وحافظتا على سر النبي ﷺ رغم الخطر.

إن هذا الحضور النسائي يذكرنا بدور المرأة المسلمة التي كانت ولا تزال شريكا حقيقيا في بناء المجتمع وصناعة التاريخ.

ختاما، تبقى الهجرة مدرسة متجددة في معانيها، وحلقة مضيئة في تاريخ الأمة، نستخلص منها دروس القيادة، والتخطيط، والتضحية، والبناء القيمي. وهي دعوة صريحة لكل مسلم ليعيد قراءتها لا كمجرد ذكرى، بل كخارطة طريق لحل أزمات الحاضر، وبناء مستقبل مشرق، كما أنها دعوة لكل فرد لأن يهاجر من غفلته إلى وعيه، من تقصيره إلى اجتهاده، ومن أنانيته إلى مسؤوليته تجاه مجتمعه وأمته.

فلنجعل من الهجرة النبوية نقطة انطلاق متجددة، نستمد منها الشجاعة في اتخاذ القرار، واليقظة في مواجهة الباطل، والصدق مع النفس، لنكون بحق «خير أمة أخرجت للناس».

المصادر

١- أخرجه النسائي في السنن الكبرى، (١١٧٩٤).
٢- صحيح مسلم، (١٨٦٤).

بقلم د. نبيل سليم
كاتب ومفكر

تأثر العمارة الغربية بالعمارة الإسلامية

تقف العمارة الإسلامية حتى الآن شامخة تتحدى الزمن، وربما تهزأ بالعمارة الحديثة التي -من المفروض- أنها نشأت في ظل تقدم تكنولوجي، ومناخ علمي تجريبي، وخبرات واسعة في الهندسة والمعمار، الأمر الذي وفر من الأدوات الميكانيكية والمادية ما يساعد على الإنجاز والدقة والتوسع والتنوع بلا حدود.. وما زلنا نرى أبناء الحضارة الغربية المعاصرة يقفون في خشوع أمام بوابة أي مبنى من المباني الكثيرة التي بنيت في ظل العصور الإسلامية المتقدمة، كالمساجد والخانقات والوكالات والتكايا والأسبلة والأضرحة والخانات والأرباع وغيرها.

استفادت العمارة الإسلامية من العمائر الهلينيستية التي كانت بعض الحليات المعمارية فيها على شكل ورقة عنب منحوتة في الحجر أو من الجص، وكانت هذه الورقة بارزة التفاصيل أو لنقل التضاريس، وقد ظهرت هذه الورقة على تلك الهيئة في العمائر الإسلامية المبكرة، ولكن مع الزمن، حدث تطور تحت تأثير التجريد في الفكر الإسلامي، فأسقط الفنان المسلم من اعتباره تلك التفاصيل الكثيرة لورقة العنب، واستطاع أن ينفذ إلى الجوهر فوجد أن لها عروقا خمسة وأطرافا خمسة، وأن شكلها الهندسي المجرد هو الشكل الخماسي، وأحيانا من رؤية أخرى يمكن أن يصبح الشكل سداسيا.. وبدأت الأشكال الهندسية تأخذ طريقها لتصبح من الملامح الأساسية للفن الإسلامي. وإذا تأملت منبرا لمسجد أو محرابا فستجد أن نقوشه قد تكون تفعيلات لشكل هندسي واحد وربما ترديد لهذا الشكل ليصبح المجموع كلا واحدا، وهذا يوحي إلينا بفكرة الكل الواحد، كما أن الخطوط التي صنعت تلك الأشكال الهندسية يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية، وتظل تعطينا الأشكال نفسها، فلا نعرف من أين بدأت ولا أين ستنتهي وهذا يعيدنا إلى فكرة الأول والآخر أو الأزلية والأبدية، كما أن تلك الأشكال الهندسية عندما تتكرر وتتجاوز طولا وعرضا، تنشأ بين وحداتها أشكال هندسية أخرى لا تكاد تظهر من النظرة الأولى، وهنا تبرز لنا فكرة الظاهر والباطن، أو النهار والليل، وربما تذكرنا بالموجب والسالب وهما عنصرا الحياة.

والمسجد يحتل المكانة الأولى بالنسبة للعمارة الإسلامية باعتباره مكانا للعبادة، الأمر الذي اقتضى ضخامته وعظمته المعمارية، والإنسان المعاصر عندما يتأمل شكل البناية الإسلامية فإذا به يراها مبنية على فلسفة معمارية واضحة البيان للعيان، حتى لمن لا يفهم في أمور الفلسفات، إنما الحكمة المتمثلة في شكل البناء وموقعه، وحداته وتنوعها، طوله وعرضه، مساحته، متانته، كل ذلك ينطق بأن وراء هذه التحفة الفنية الرائعة تقدما هائلا في العلوم الهندسية وعلوم الجمال.

جمال الألوان

ولابد أن يصيبك الذهول لشموخ

البناء والشكل الذي فيه، ففي كل سنتيمتر مكعب يبدو البناء من الداخل كأنما هناك يد جبارة صبورة قدت من الصلب و«لضمت» خيوط الصخر في «إبرة» وطرزت بخيوطه الملونة تشكيلات زخرفية في أشكال هندسية تارة، وفنتازية تارة أخرى، ما بين أصداف وأحجار كريمة وأخشاب من فرط أصالتها استحقت أن تطعم بالذهب والفضة والإبريز.. ما هذه الأيوانات والقباب التي تجعل من الكتلة الواحدة عديدا من الكتل المتناسقة، ومن المساحة الضيقة رحابة ومرونة، وتضفي على البقاع ثراء لا حدود له، وتستطيع دون مبالغة أن تجلس في غرفة مثلا كصحن مسجد قايتباي -الذي أصبح علامة مسجلة مرسومة على عملة الجنيه المصري- منذ مولدك إلى قيام الساعة دون أن يصيبك الملل أو تشعر برغبة ملحة في الاتصال بالعالم الخارجي. فلو رفعت بصرك وأنت جالس على المصطبة الملاصقة للجدار الخلفي ورميته في اتجاه القبلة، لطالعك ديوان مهيب عظيم مشغول بالمقرنصات والخطوط المتداخلة في صور شعرية رصينة تنقلك إلى عوالم شتى. ولو نظرت إلى أعلى قليلا تقع صريعا في أسر هذا الجمال الخرافي، جمال الألوان كلها بكامل هيئاتها تتألق مشعة بالضوء.

وإذا كانت جمال الألوان تتألق في كل نافذة على حدة، فإن مجموع النوافذ المتجاورة على استطالة الجدار يكون صورة أخرى لكن العين ترى الأفق المطل على جنة الخلد فعلا، نفس التكوين في جميع الحوائط، فأعلى الحوائط مطرز بمربع النوافذ المتجاورة التي تدفق على صحن المسجد ألوانا لا نهاية لها من الانسجام النفسي والهدوء المنقطع النظير، الهدوء الذي لا يمكن أن يتوافر بهذا القدر في أي مكان، فتراك تتزحزح فوق المصطبة كطفل صغير يريد أن يلهو في هذا البراح الرخامي من مربع إلى مربع حتى يصعد إلى المصطبة اليمنى الداخلة كجناح مستقل مربع الشكل يفضي إلى النافذة الكبيرة المطلة على زاوية أخرى من الشارع، ذلك يبدو لك من خلف المربعات النحاسية التي تبدو كأنها حبال مجدولة من النحاس تحدد العقد مسا يعبر أمام عينيك في الشارع، حتى إذا ما أو شك على الاختفاء، كشفه لك الشباك الملاصق لها الذي يفتح على الزاوية المختفية، ولك أن تنظر بجانب عينيك في هذا الشباك أو بالمواجهة في الشباك المواجه، فإنك سوف تستمتع بالرؤية في أيهما بل كليهما معا، هذا إذا أردت النظر للخارج. فأغلب اليقين أن النوافذ العالية المطرزة بالألوان المتألقة لابد أن تضع لعينيك أرضية من التحليق السامي، فتصبح نظرة عينيك كطائر هدهدته أبسطة من الألوان المريحة المهدهدة لأعطافه، فبات غير راغب في النزول عنها، أنها كالأبسطة والسجاجيد لها وبر كثيف شديد النعومة، إنها ألوان ليست متناسقة، متضافرة، متكافئة فحسب بل الأصالة تستكين لملمسها النظرات، وتبغي السمو إلى أعلى

فأعلى. وياله من علو ذلك الذي سيخطف البصر بمغناطيس.

حلم العطاشى

إن العين التي طارت وحلقت في الآفاق محمولة على أوتار جمال الألوان قد آن لها أن تسكن في سويداء هذه القبة العميقة التي تبدو من بعيد كأيكة أو كعش لطائر، أما داخلها فعالم متكامل ذو ثراء بعيد المدى، ولسرعان ما تصبح العين كهذا الطائر في عشه الحميم، سرعان ما تتقافز صاعدة هابطة رائحة غادية، ففي كل سنتيمتر مكعب لها فن جميل، إنك وأنت مستغرق في رؤية التفاصيل الدقيقة لهذه القبة تحس أنها أبدا غير مغلقة، فأنت لا تفقد الشعور بأنك محصور في بقعة محدودة، فكل تفصيلة من هذه التفاصيل الفنية بتكوينها وألوانها مفتوحة على خلاء هائل يمرح فيه الخيال ويرتفع ويجوب ويحلق. إنني حين يقع بصري في مسيرة هذه القبة الساحرة أحس بأن هذا الفن الزخرفي الذي طعم به هذا البناء الشامخ، لم يكن عبثا، لم يكن مجرد زخرفة للزخرفة، لم يكن مجرد مخرج ينفس فيه الفنانون المسلمون عن طاقات فنية تشكيلية مكبوتة لديهم، على اعتبار أن الإسلام -في أقوال بعض الفقهاء وعلماء الكلام- يحرم التصوير والتشخيص والرسم بحكم أنها تحاكي الله في مهمة الخلق، وهذا لا يجوز للإنسان، الأمر الذي جعل الفنانين المسلمين يسرفون في استخدام الطاقة الفنية المدخرة لديهم في تشكيلات زخرفية قد لا تندرج في قائمة الإبداع الإنساني، هذا ما كنت قد قرأته يوما في مقال لا أتذكره، ولكنني -أقول- كلما نظرت إلى مثل هذه القبة السحرية أدرك بعد انسلاخ طويل عنها أنها الإبداع الإنساني في أعلى مراتبه.

حين يصل بك الإبداع في التشكيل والتلوين والبنية إلى هذا الحد من الشفافية والشموخ لابد أن يكون إبداعا عظيما، فقمة الفن في أعلى مراتبه تتحقق حينما ينجح في أن ينقل إليك الإحساس بالشموخ، كما أن ضآلة جسم الإنسان وهو مقبل على بوابة كبوابة الفتوح أو باب النصر أو باب زويلة، أو بوابة الجامع الأزهر، أو جامع السيدة نفيسة، أو قايتباي أو برقوق، ضآلة الإنسان هذه سرعان ما تتلاشى تماما في موكب الزهو الذي يحفك وأنت في كامل الأبهة تصعد هذا المعراج الرخامي إلى مدخل المبنى. فكل مبنى لابد أن تدخل إليه صاعدا، وهذه اللمسة المعمارية بادرة شموخ وعظمة، وإشارة زهو إلى العلو، لكنها تضفي عليك الأبهة وتمدك بدرج العلو، فإذا أنت تصعد إلى الرحاب الكريمة مشمولا بالكبرياء والشموخ، هي إذن أبنية أعدت لكي تزرع الإحساس بالشموخ والعزة والكبرياء في نفوس المسلمين، ولكي تجذب الإنسان بسحرها إلى الداخل فإذا هو بعد خطوة أو خطوتين قد صار في رحمها! وإذا هي كلما سحبته إلى داخلها تعطيه نفسها شيئا حتى تضع يده على منطقة اللب لكن بعد رحلة طويلة حافلة من المجاهدات والمكابدات والرياضات.. إنها أبنية كالحضارة التي أولتها، تعطيك نفسها بمظهر غاية في السمو والكبرياء والصلابة والقوة، وهذا المظهر كالصدفة السميكة الجميلة التي تخفي في جوفها اللؤلؤ، وأن النفس لتجد لذة كبرى في محاولة اختراق هذه الصدفة والوصول إلى جوهرتها. كما أنك لو تصورت نفسك سائرا في شوارع القاهرة القديمة في العصور الوسطى الإسلامية، فإن منظر السبيل -أي سبيل من الأسبلة الكثيرة التي اشتهرت بها القاهرة والتي لا يزال بعضها قائما بنفس الشموخ في نفس المكان حتى اليوم- لابد أن يجذبك من بعد كبير، فهو دائما في موقع مختار. هنا أو من هناك، مبهور .. جمال الأوان، والمرء لابد بعناية، وهو دائما كالفنان يخطب ود بصر

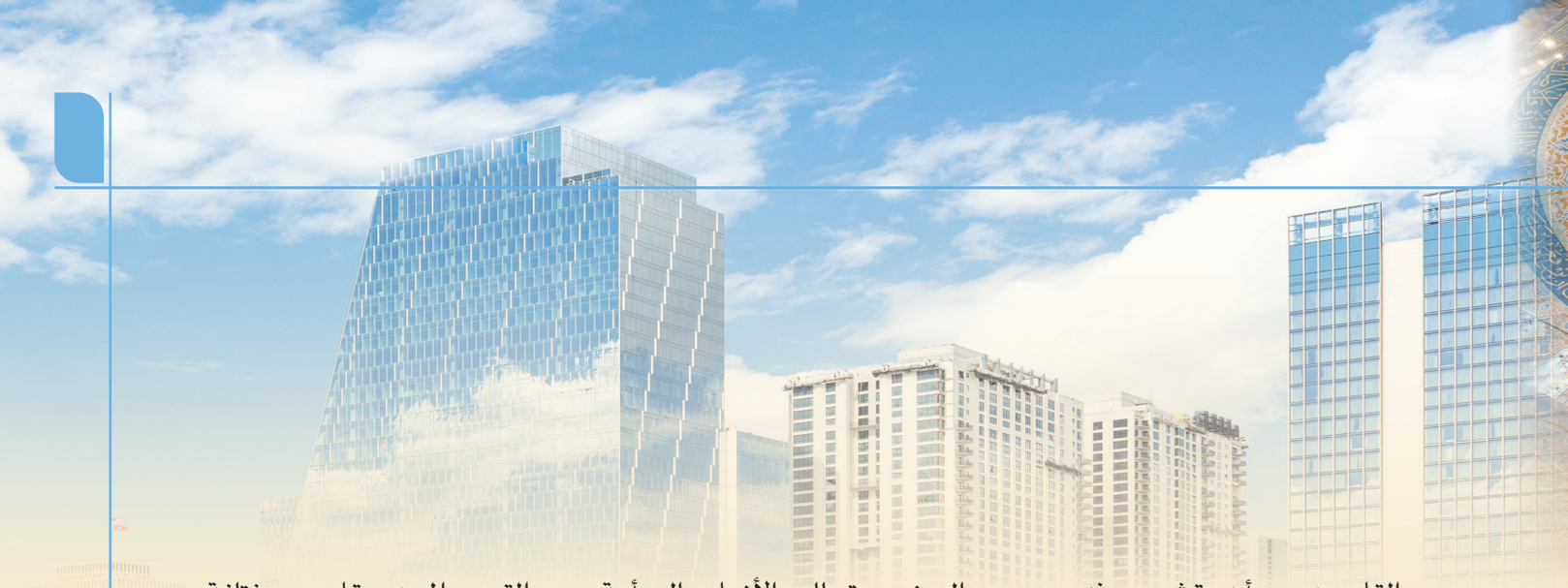

القادمين من أن يقشعر بدنه من فرط الشعور بالبهجة والاغتباط بمجرد وقوع بصره على هذه التحفة المعمارية التشكيلية في أيام جدتها، وإنه ليشعر اليوم وهو يراها بعد أن تراكمت عليها القرون بما يصل أحيانا إلى أكثر من ستمئة عام وربما ألف عام، وبعد أن تراكم عليها الهوان، فما بالك في عصور شبابها؟

سلبية العمارة الغربية

هذه النماذج من المدن الإسلامية وثقافة عمارتها، استفاد منها علماء الغرب في التخطيط العمراني، وأضافوا وأبدعوا وقد اشتهر دعاة التخطيط العمراني الجديد بإعادة تصميم الضواحي المعهودة كالمدن الصغيرة، بيد أن مبادئهم مهمة أيضا فيما يتعلق بالتخطيط الحضري والريفي والإقليمي، وقد كان كلمة التوسع Growth تعني للأميركيين دلالات إيجابية، كالحصول على عمل أفضل، وعلى محلات تجارية أفضل، وتعليم أحسن ونوعية حياة أيضا، لكن ذكر الكلمة حاليا قد يجعلك تسمع استنكارا قاسيا، إذ إنها ترتبط بالاختناقات المرورية والضرائب العالية والمدارس المزدحمة وزحف الأرصفة والمنشآت على المساحات الطبيعية، فبسبب تحول النمط الحضري تسللت الأزمات إلى أمة كانت تفخر بتوسعها على مدى ثلاثة قرون، أمة شعبها قام بتشييد كوكبة من القرى الجميلة والمدن الصغيرة والكبيرة على طول القارة وعرضها مما جعلها تغير نظرتها جذريا، وجعل القرارات المتعلقة بالتصميم لا تتخذ في معزل عن هذا كله، وأصبحت التبصيرات الأساسية لدعاة التخطيط العمراني الحديث: الاهتمام بكيفية تماسك المخطط الحضري مستفيدين من خبرة العاملين في حقل التنمية من قبل.

لقد انتقد البعض حركة التخطيط العمراني الحديث تلك باعتبارها تركز على الضواحي، وذلك لأنهم لا يرغبون بالعيش في نسخة جديدة من المدينة الأميركية الصغيرة التقليدية، قد يفضلون أيضا صخب المدينة أو هدوء الريف، بيد أن التخطيط العمراني الحديث يتسم بالعمومية بحيث يستوعب أنماطا متنوعة من البيئات البشرية (تماما كفكرة الخانات)، فهو يتصف بإستراتيجية تخطيط شاملة تصلح لجميع أنواع التطوير من البرية النائية وحتى قلب المدينة المزدحم، والنظام المعروف باسم «المقطع المستعرض» هو الآن دليل الكثير من المدن الجديدة ويجري تبنيه بوصفه قانونا وشريعة في العديد من المقاطعات الأميركية، حيث تتكون القرى والمدن بمقاييس مختلفة من هذه البيئات، فالمدن الكبرى تمتد حتى وسط حضري مكون من المباني مع قليل من الطبيعة -إن وجدت- وتحقق جميع القطاعات مجموعة احتياجات البشر ورغباتهم، واعتمادا على ملاحظاتنا حول المجتمعات النابضة بالحياة نجد أن هناك أمورا مشتركة بين أسس التصميم لكل جزء من المقطع وفلسفة الفكر المعماري الإسلامي، فهناك تداخل في السمات المتخيلة عند الحدود فيما بين الأجزاء، بما في ذلك الأجزاء الطبيعية والأجزاء المصطنعة التي صنعها الإنسان، مما يجعلها تتلاءم فيما بينها بصورة سلسة.

المراجع

١- خيري شلبي، تراث الإسلام، العمارة الإسلامية «مقدمة تمهيدية»، القاهرة.

٢- د. عز الدين سليم علي، ذكاء علم التوسع العمراني الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٣- أندريس ديواني، نظرية جديدة في التخطيط العمراني.

٤- د. محمد الغريب، تراثنا الإسلامي.. كيف نحميه ونحافظ عليه؟ دار المعارف، سلسلة «اقرأ».

مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Wa'ei AL-Islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما

د. محمد محمود العطار

سورة الإخلاص.. مقصدها وفضلها

اللّه سبحانه وتعالى كامل في صفاته، وليس له نظير أبدا في صفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، ويحتاج الخلق إلى اللّه سبحانه وتعالى، وهو غني عنهم، ليس له أبوان ولا زوجة ولا ولد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص:١-٤)، وسورة الإخلاص سورة مكية، فقد قال المشركون لرسول اللّه ﷺ: انسب لنا ربك؟ فأنزل اللّه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (رواه الترمذي).

ومن أسمائها سورة التوحيد، وسورة المقشقشة أي المبرأة من الشرك والنفاق، وتسمى مع سورتي الفلق والناس بالمعوذات، ومقصد سورة الإخلاص العبادة للّه تعالى وتعظيم الخالق وتنزيهه عن كل نقص وعيب.

ومن فضائل سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن في الثواب؛ بشرط إخلاص العقيدة، والعمل بمقتضاها، والمراد بالإخلاص كلمة التوحيد، وقد أجملت السورة معاني التوحيد وهي الربوبية والألوهية، وعن النبي ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟

قال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» (رواه البخاري ومسلم).

وعن السيدة عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. (رواه البخاري).

مجالس الإفتاء

إعداد
عبدالسلام الشبراوي

في إطار الدور الريادي الذي تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، قدمت إدارة الفتوى بالوزارة كتاب: «مجالس الإفتاء»، الذي يضم مجموعة من الفتاوى موزعة على: (٣٢ مجلسا)، و«الوعي الإسلامي» إذ تنشر هذه الفتاوى المهمة ضمن أبوابها الثابتة شهريا تتمنى لقرائها تمام الفائدة من هذا الجهد العلمي الأصيل.

نقض الضفائر في الغسل من الجنابة

● هل يجب نقض الضفائر في الغسل من الجنابة؟

■ اتفق الفقهاء على أن تعميم الشعر والبشرة بالماء من فروض الغسل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ بغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله». (أخرجه البخاري).

وذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة: إلى أنه لا يجب نقض الضفائر في الغسل، إذا كان الماء يصل إلى أصولها، والأصل فيه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله؛ إني امرأة أشد ضفر رأسي، فأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليه الماء فتطهرين» (رواه مسلم). فإذا لم يصل الماء إلى أصول الضفائر، فإنه يجب نقضها في الجملة، سوى رأي عند بعض متأخري المالكية أن العروس التي تزين شعرها ليس عليها غسل رأسها؛ لما في ذلك من إتلاف المال، ويكفيها المسح، وهو مخالف لرأي جمهور الفقهاء، واللجنة ترجح رأي الجمهور. ويجري على الشعر (المسشور) ما يجري على الشعر المضفور. والله أعلم.

السقط الذي تصير به المرأة نفساء

● ما السقط الذي تصير به المرأة نفساء؟

■ ذهب الفقهاء إلى أن السقط الذي استبان بعض خَلْقِه -كإصبع أو غيره- ولد تصير به المرأة نفساء؛ لأنه بدء خَلْق آدمي. وأما إذا قال أهل الخبرة والاختصاص: إن ما نزل منها لم يستبن شيء من خلقه، وأنه ليس أصلاً لآدمي؛ فإن الفقهاء يرون أن المرأة لا تصير به نفساء، وعليه: فلا عبرة بغير ذلك. والله أعلم.

اشتراط دخول الوقت للأذان

● قد تكون ساعات بعض المؤذنين قد تقدّمت دقيقة أو دقيقتين، فيبدأ الأذان قبل دخول الوقت بقليل في بعض الأحيان، وربما شرع بعض الناس في بيوتهم بالصلاة عقب ابتداء المؤذن؛ فهل ترون استحباب تأخير الأذان قليلا بحيث يغلب على الظنّ دخول الوقت، أو وجوب ذلك، أو غير ذلك؟

■ الأذان إعلان بدخول الوقت، ولهذا فلا يجوز للمؤذن أن يبدأ بالأذان لوقت من الأوقات قبل أن يتيقن أو يغلب على ظنه دخول الوقت، وذلك بالاعتماد على الوسائل المتاحة له كالساعة الدقيقة، أو النظر إلى الشمس، أو غير ذلك، ولا يجوز لمسلم البدء بالفرض قبل أن يغلب على ظنّه دخول الوقت أيضاً، وذلك بالاستفادة من الوسائل المتاحة له؛ كالساعة الدقيقة، أو سماع الأذان من مؤذن مؤتمن، أو غير ذلك، فإذا بدأ المصلي صلاة فرض دون تحر، ثم علم أن بدأه للصلاة كان قبل دخول الوقت، بطلت صلاته، وعليه إعادتها في الوقت، أو قضاؤها بعد الوقت إذا فات وقتها. والله أعلم.

تراجم

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

المتفق والمفترق
في الأسماء والأنساب والكنى

سلسلة الأعلام المتشابهة (١٠١)

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن الاكفاني)

١- رضي الدين بن الأكفاني (ت: ٧٤٩هـ):

هو رضي الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاوي المصري، المعروف بابن الأكفاني، طبيب، عالم بالحكمة والرياضيات.

ولد ونشأ في سنجار بالعراق، وسكن القاهرة، فزاول صناعة الطب.

من أبرز مصنفاته: (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد)، و(الدرر النظيم في أحوال العلوم والتعليم)، و(نخب الذخائر في أحوال الجواهر)، و(كشف الرين في أحوال العين)، و(غنية اللبيب في غيبة الطبيب)، توفي بالقاهرة[١].

٢- ابن الأكفاني (ت: ٥٢٤هـ):

هو أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأمين الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الأكفاني، من حفاظ الحديث بدمشق.

ولد سنة: (٤٤٤هـ)، وهو شافعي المذهب، كتب ما لم يكتبه أحد من أبناء زمنه بالشام، من أبرزها: (جامع الوفيات)، و(تتمة تاريخ داريا)، و(تسمية من حدث من أهلها)، توفي بدمشق[٢].

المتفق والمفترق في اسم (ابن عقيل)

٣- بهاء الدين بن عقيل (ت: ٧٦٩هـ):

هو بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن ابن عبدالله القرشي الهامشي المعروف بابن عقيل، من نسل عقيل ابن أبي طالب، من أئمة النحاة.

ولد بالقاهرة سنة: (٦٩٤هـ)، ولي قضاء الديار المصرية مدة قصيرة، من أبرز مصنفاته: (شرح ألفية ابن مالك)، و(التعليق الوجيز على الكتاب العزيز)، و(الجامع النفيس) في فقه الشافعية، و(المساعد في شرح التسهيل)، و(تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد)، وغير ذلك، توفي بالقاهرة[٣].

٤- ابن عقيل (ت: ١٣٥٠هـ):

هو محمد بن عقيل بن عبدالله العلوي الحسيني الحضرمي، رحالة، من بيت علم بحضرموت.

ولد ببلدة مسيلة قرب تريم سنة: (١٢٧٩هـ)، زار بعض بلاد الصين واليابان والهند والحجاز ومصر وأوربة والشام واليمن للتجارة.

من أبرز مصنفاته: (النصائح الكافية)، و(العتب الجميل على علماء الجرح والتعديل)، و(مذكرات) عن رحلاته ضاع أكثرها، و(ثمرات المطالعة)، وله مقالات في جريدة (الفتح)، توفي بحضرموت[٤].

٥- أبو الوفاء بن عقيل (ت: ٥١٣هـ):

هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد ابن عقيل البغدادي الظفري، يعرف بابن عقيل، عالم العراق، وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته.

ولد سنة: (٤٣١هـ)، كان قوي الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته.

له تصانيف أعظمها كتاب: (الفنون) قال الذهبي في تاريخه: كتاب الفنون لم يصنف في الأصول، و(الفصول في فقه الحنابلة)، و(كفاية المفتي)، و(الجدل على طريقة الفقهاء)، و(الانتصار لأهل الحديث)، توفي في بغداد[٥].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٩/٥) ومعجم المؤلفين (٢٠١/٨).
٢- انظر: الأعلام للزركلي (٧٠/٨) ومعجم المؤلفين (١٣٤/١٣).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (٩٦/٤).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٢٦٩/٦).
٥- انظر: الأعلام للزركلي (٣١٣/٤) ومعجم المؤلفين (١٥٢/٧).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

«الإيضاح في علوم البلاغة»

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ويأتي كتاب «الإيضاح في علوم البلاغة» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بـ«الإيضاح في علوم البلاغة» للخطيب القزويني

هو كتاب في علم البلاغة وتوابعها، صنفه الخطيب القزويني، وهو شرح لكتابه «تلخيص المفتاح» الذي هو اختصار لكتاب «مفتاح العلوم» وهو كتاب في علوم اللغة العربية للسكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، المولود سنة: ٥٥٥هـ/١١٦٩م في خوارزم، والمتوفى في قرية الكندي من قرى المالية سنة: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

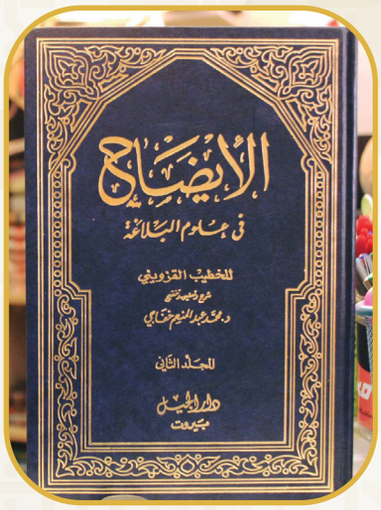

التعريف بكتاب «مفتاح العلوم»

هو كتاب من أهم وأعظم الكتب التي بحثت في جميع فروع اللغة العربية، حيث يجمع بين أهم ثلاثة علوم في اللغة، هي: علم الصرف: ويتكون من عدة أبواب وفصول، علم البيان والمعاني والبلاغة، وعلم النحو والإعراب؛ ولهذا يعد من أشمل الكتب في هذا الفن.

التعريف بالخطيب القزويني

هو محمد بن عبدالرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، ولد بالموصل لكن أصله من مدينة قزوين، كاتب ومؤلف عربي، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة: ٧٢٤هـ، ثم قضاء مصر سنة: ٧٢٧هـ، ثم نفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة: ٧٣٨هـ، ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي بدمشق سنة: ٧٣٩هـ.

محتوى الكتاب العام

تميز المؤلف في كتابه هذا بالاستقصاء، فلم يترك شاردة ولا واردة من مسائل البلاغة، إلا عرضها عرضا مفصلا ودقيقا، ملما فيها بالآراء كافة، سواء التي كانت في عصره، أو قبل عصره.

قال في مقدمة الكتاب: هذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ«الإيضاح» وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته: «تلخيص المفتاح»، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر، مما تضمنه «مفتاح العلوم»، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله في كتابه: «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما، فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري. فجاء بحمد الله جامعا لأشتات هذا العلم، وإليه أرغب في أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولي الفهم، وهو حسبي ونعم والوكيل.

مؤلفاته

للخطيب القزويني مؤلفات لم تخرج عن علم اللغة والبلاغة وهي:

- تلخيص المفتاح (في المعاني والبيان).
- الإيضاح (في شرح التلخيص).
- السور المرجاني من شعر الأرجاني.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة من هذا الكتاب الماتع النافع، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بعلم البلاغة وتوابعه.

المصادر

- الإيضاح في علوم البلاغة.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي

أول من أدخل تعليم اللغات بالأزهر

عبدالرحمن تاج

■ أحد من غرس الريف المصري بذرتهم في بساتين الأزهر الشريف ليتعهد صقلهم وتهذيبهم وملئهم علما وثقافة، ثم الدفع بهم إلى الحياة العامة روادا للنهضة والإصلاح والتطوير.

■ من أبرز فقهاء الشريعة الإسلامية وأساتذتها المعاصرين، كما أنه من اللغويين المجتهدين ومن أبرز أعضاء مجمع الخالدين.

■ حينما كان سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف زار محافظة أسيوط، فأعجب في أحد كتاتيبها بنباهة تلميذ وذكائه فقرر حصوله على مجانية التعليم المدني مدى حياته، لكن والد الطفل رفض عرضه مفضلا التعليم الأزهري.. فكان هذا الطفل هو شيخ الأزهر الدكتور عبدالرحمن تاج.

النشأة

■ أسرته تتحدر من إحدى قرى محافظة الفيوم تسمى «منية الحيط»، لكن عبدالرحمن حسين علي تاج ولد في أسيوط عام ١٨٩٦م، بعدما انتقل والده وجده إليها للعمل في بناء قناطرها، فحفظ تاج القرآن وجوده في الكُتّاب وهو في سن العاشرة، وتلقى بعض روايات قراءاته على يد كبار القراء، وقد عرف عنه جمال الصوت وعذوبته عند تلاوة القرآن.

■ في ١٩١٠م، انتقلت أسرته إلى الإسكندرية، فالتحق تاج بالسنة الثانية بمعهد الإسكندرية الابتدائي الديني.

■ في ١٩٢٣م، حصل بتفوق على «عالمية» الأزهر (الدكتوراه)، ونال الجائزة المخصصة للمتفوقين فيها، حيث كان ترتيبه الأول.. وبعدها بثلاث سنوات حصل على شهادة التخصص، ثم ابتعث إلى «السوربون» فنال الدكتوراه منها عام ١٩٣٦م.

حياته العملية

■ عقب تخرجه بدأ بوظائف الأستاذية في المعاهد الأزهرية؛ فعمل مدرسا في معهد أسيوط ثم معهد القاهرة ثم نقل مدرسا في الدراسات العليا في كلية الشريعة (الأزهر).. كما عين شيخا للقسم العام من الأزهر (ما يوازي الآن رئيس قطاع المعاهد الأزهرية).

■ كما عمل أستاذا للشريعة في كلية الحقوق بجامعة إبراهيم (جامعة عين شمس الآن).. وفي وقت موازٍ، ألف رسالة عن «السياسة الشرعية» نال بها عضوية جماعة كبار العلماء.. وفي ١٩٥٤م، اختير عضوا في لجنة وضع الدستور، وفي السنة نفسها عين شيخا للأزهر.

■ عين عضوا دائما وسكرتيرا فنيا للجنة الفتوى بالأزهر... وفي عام ١٩٥٨م، عين وزيرا في اتحاد الدول العربية (اليمن ومصر وسورية)... وفي ١٩٦٣م، عين عضوا بمجمع اللغة العربية، كما عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

شخصية تاريخية

■ من الشخصيات التاريخية التي يحسب مبلغ فضلها تبعا لـ: ما أحجمت عنه لا ما أقدمت عليه، وما استطاعت تجنبه لا ما استطاعت تحقيقه.. إذ تولى المشيخة في ذروة نجاح الدعوة إلى الترحيب بالتوجهات اللادينية وتغلغلها في الحياة العامة، لكن قوة العقيدة وتمكن العلم من نفسه تكفلا بحماية مصر والأزهر من هذا المصير.

آثاره

■ كانت لتاج فتاوى قيمة في قضايا الشفعة والبيوع والمواريث والطلاق، كما كانت له رسالة منشورة (بالاشتراك مع أستاذين من الكلية) في تفسير آيات الأحكام ظلت تدرس في كليات الشريعة، وله كثير من الكتب والبحوث منها: «مذكرات في الفقه المقارن»، «أحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية» و«البابية والإسلام» (وهي الرسالة التي نال بها الدكتوراه من السوربون)... وغيرها كثير.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ عبدالرحمن تاج مساهمة وحيدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان: «شركات التأمين في نظر الشريعة»، ع:٩٤. وهو مقال ذو قيمة علمية رفيعة؛ لأنه تناول حينها مسألة مهمة وطارئة من مسائل الفقه الإسلامي المستجدّة المعروفة بـ«النوازل».

الوفاة

■ بعد عمر حافل ملؤه الدرس والعمل والدعوة، توفي تاج في ١٢ أبريل ١٩٧٥م. رحمه الله رحمة واسعة وغفر له، ونفع الله بعلمه الأمة.

المصادر

- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «الجزيرة» (د. محمد الجوادي).
- مواقع إلكترونية عدة.

يعقوب الجناع
باحث شرعي

التدبير في النجاة

كان هشام بن عبدالملك من خلفاء بني أمية فسأل يوما أبا حازم وكان من العلماء: ما التدبير في النجاة من أمور الخلافة؟ قال: أن تأخذ الدرهم الذي تأخذه من وجه حلال، وأن تضعه في موضع حق. قال: من يقدر على هذا؟ قال: من يرغب في نعيم الجنان، ويرهب من عذاب النيران.

(انظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للغزالي، ص:٢٨)

قواصم الظهر

قال بعض الحكماء: أربع قواصم الظهر: إمام تطيعه ويضلك، وزوجة تأمنها وتخونك، وجار إن علم خيرا ستره وإن علم شرا نشره، وفقر حاضر لا يجد صاحبه عنه متلوما.

(انظر: الفوائد والأخبار، لابن دريد الأزدي، ص:٢٦)

همم القدماء

قال العلامة ابن الجوزي، رحمه الله تعالى: وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظمية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبدالوهاب، وابن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب -وكانت أحمالا- وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في الطلب.

(انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص:٤٥٤)

الحياة كفاح وصراع

إذا كانت الحياة كفاحا وصراعا فإن الإسلام يهيب بأبنائه ألا يعجزوا أو يكسلوا، وإنما عليهم أن ينشطوا في الحياة بهمة لا تفتر وعزيمة لا تكل، ولذا أمر الرسول ﷺ بذلك فقال: «واستعن بالله ولا تعجز» (رواه مسلم). وكان يستعيذ من العجز والكسل، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل» (رواه مسلم).

(انظر: جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة الوعي الإسلامي، ص:١٢)

أول إعلان لحقوق الإنسان

ما أروع أن نقف وقفة تأمل، نتدبر فيها تلك اللحظات الخالدة في حجة الوداع؛ يوم وقف رسول الله ﷺ بين أصحابه مبلغا، وهو يشهد الله على ذلك، ثم يشهد تلك الجموع الغفيرة التي وقفت على صعيد عرفات.

وما أروعها من ساعة، تلك التي التقى فيها من أرسله الله رحمة للعالمين، مع الجموع المؤلفة خاشعين، وكلهم آذان مصغية لكلمات الوداع، كلمات من لا ينطق عن الهوى.. إنها كلمات تجد صداها عند كل من يستمع إليها؛ لأنها تخرج من القلب إلى القلب.

لقد أنصتت الدنيا بأسرها - بلسان حالها ومقالها؛ لتسمع كلام أصدق القائلين ﷺ وهو يقول: «أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا».

ومثلت خطبة الوداع للحبيب المصطفى أول إعلان رسمي لحقوق الإنسان، حيث اختصرت معالم الدين ومقاصده العليا التي سعى النبي ﷺ إلى نشرها على مدار سنوات الدعوة، التي بلغت ثلاثا وعشرين سنة، فوضعت الخطبة ضوابط إنسانية عظيمة تؤكد على عدم التمييز بين البشر، مهما كان دينهم أو لونهم أو جنسهم أو معتقدهم، وعظمت من حرمة سفك الدماء وسرقة الأموال وهتك الأعراض، وأوصت الرجل بالمرأة واستفاضت في ذلك، فسبقت خطبة الوداع في ذلك المواثيق والقوانين الدولية لحقوق الإنسان. وهي خطبة تمتاز بأنها موجهة إلى إنسان كل زمان ومكان.. إنسان كل لغة وقوم ولون.

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبدا».

«أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟».

«أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه: تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها».

ومما جاء في خطبة الوداع: «ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة.. وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع: دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مسترضعا في بني ليث؛ فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

وإن ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلِمون ولا تظلَمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أبدأ به: ربا العباس بن عبد المطلب».

وأوصى ﷺ بالنساء خيرا: «أيها الناس، اتقوا الله في النساء». وأكد ﷺ في كلمة مختصرة جامعة، القضاء على الظلم الممارس بحق المرأة في الجاهلية.. فالمرأة هي الدرة المصونة، واللؤلؤة المكنونة.. هي شقيقة الرجل وشريكته، وهي المكملة له في جميع نواحي الحياة: «إنما النساء شقائق الرجال».

ثم يسطر قانونا من أعظم قوانين الإنسانية، وهو قانون المساواة ونبذ العنصرية والطبقية، وعدم الاعتبار بفروق الجنس والعرق واللون والثروة؛ فيقول في رقي ظاهر: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي.. إلا بالتقوى».

علاء الدين حسن
كاتب وباحث

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Wael AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

دعوة

تدعو مجلة «الوعي الإسلامي» قراءها الأفاضل إلى مراسلتها على الفور في حال توافر لديهم الأعداد الموضحة بالشكل من مجلة «براعم الإيمان» الملحقة بها وذلك على:

الأعداد المطلوبة

12	3	4	5	7	8	12	13	14	15	16
21	22	23	26	27	32	53	36	37	41	47
55	56	57	63	65	69	71	77	79	83	86
109	129	146								

أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي